



الشمعة

عند شعاع العصر العباسي الثاني

د. أحمد فهمي عيسى

كلية التربية بدبياط جامعة المنصورة

مكتبة نانسي دمياط

هاتف: ٤٠٦٦١٥ - ٤٠٣٧٥٥ - ٣٢٣٣٦٩

فاكس: ٥٧/٤٠٣٧٥٥

محصول: ١٢٢٥١٠١٠٦ - ٠١١٠٨٧١٩

البريد الإلكتروني:

www.nashahean@yahoo.com

اسم الكتاب: الشمعة عند شعراء العصر
العباسي الثاني.

اسم المؤلف: د/ أحمد فهمي عيسى.

اسم الناشر: مكتبة نانسي دمياط.

اسم الطابع: مطبعة نانسي دمياط.

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٤٤٦٧.

الترقيم الدولي: I.S.B.N ٩٧٧-٥٨٦٢-٣٣-٩.



سورة النور : الآية (٢٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
”الْفَلَوْرُ السَّاَوِلُونَ وَالْأَرْضَ يَأْتِلُ نُورُهُ كَمْكَاهُهُمْ
مَصْبَاحٌ . الْمَصَابِحُ فِي زَجَاجَةٍ . الْرَّجَاجَةُ كَلْمَاهُ كَوْكَبٍ
دَرْبُهُقَدْ سَرْجَحَةٌ تَبَارِكَةٌ زَرْبَنَةٌ لَا شَرْقَيَّةٌ وَلَا غَرْبَيَّةٌ
يَكَادُ رَسْمَهُ يَضَرِّعُ وَلَمْ يَتَسْسَهْ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ هَدَى اللَّهُ
لَنُورٍ مِنْ شَاءَ وَهُنْ ضُرُبُ الْمَلَائِكَةِ الْأَمَلَّ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ”

المقدمة :

لقد عاش شعراً العصر العباسى الثانى حالة اغتراب شديدة ؛ نظرًا لأن الاستقرار والأمان اللذين كان يعيشهما المجتمع في العصر العباسى الأول زالا بزوال قوة الخلافة حيث وصل إلى سدة الحكم خلفاء ضعاف أسيجوها أموبة في يد الأتراك كالمنتفى الذي حكم في نهاية القرن الثالث ومعظم الرابع الأول من القرن الرابع ، أو نظرًا للقطيعة بين الحكام والمحكومين حيث قبض الوباهيون والسلجوقون على زمام الحكم ، وتغير رجال صغار وختلف رجال كبار ، ووقف الزمن ضد كل صاحب طموح وموهبة ، ونافت علامات بارزة في وسط الزحام .

وهذا وجد الإنسان نفسه ثالثها حائراً . غير آمن على يومه وغده . بدأ يحس بالفقد والغربة . وبذلت الإيقاعات تصرف مفقرة خارجة عن إطار منظومات جماعية . وبدت الوحدة هي ديدن الإنسان في هذا العصر . وللحركة لوازماها ، مرازنها في الليل . حيث تتعسر المرازنة أهلها في جائفهم النسوم . ومن هنا يبرز دور الشمعة كالتزامة من لوازم الوحدة . ولأن الشاعر إنسان كان في حاجة إلى الشمعة لتؤنس وحنته ، ولتثير ظلمة بصيرته قبل أن تثير ظلمة بصره .

والشمعة كانت في حاجة إلى الشاعر ليضئ لأنها عادة في حاجة إلى من يبيت فيها الحياة ، حتى وإن كانت حياتها مدفوعة حتماً إلى النهاية . فالإنسان ليضيأ حياته مدفوعة إلى النهاية خلا فرق بين الاثنين .

المهم أن الشاعر العباسى في العصر الثانى أحمس بالشمعة فبدأ يصفها متاملًا ، بل بدأ يخلع علىها مشاعره ، حيث جعلها ذوب نفسه . كل هذا كان

جديداً ب رغم أن الشمعة كانت موجودة قبل ذلك بكثير إلا أنها لم تلفت نظر الشاعر الكبير بمثل ما لفت نظر شاعرنا في العصر العباسي الثاني .

فوجينا عند شعراء العصر العباسي الثاني مقطوعات شعرية كثيرة تقipس جمالاً وحرارة حول الشمعة ، حتى تحولت هذه المقطوعات إلى ما يشبه الظاهرة الشعرية مما جعلنا نقف عددها في هذا البحث .

فيما كانت الشمعة شخصية لظهور الأشياء فهي في حاجة إلى من يظهرها ويزورها ، مسلطاً الأضواء على دورها المادي والمعنوي ، ولهذا جاء هذا البحث بعنوان "الشمعة عند شعراء العصر العباسي الثاني" محاولاً فيه أن نلقي الضوء على هذه الظاهرة .

وقد جاء البحث في تمهيد وتلاتة فصول وخاتمة .

التمهيد: يدور حول ماهية الشمعة ، وطرق صناعتها ، وفوائدها وما كتب عنها في النثر .

الفصل الأول: يدور حول "وصف الشمعة" وفوائدها في الشعر .
الفصل الثاني: يدور حول "الشمعة في وجдан الشعراء" حيث يدرس العلاقة النفسية بين الشاعر والشمعة من خلال دراسة حياة بعض الشعراء الذين كتبوا في الشمعة .

الفصل الثالث: يدور حول "شعراء الشمعة نظارات فنية" حيث يبرز بعض السمات الفنية في شعر الشمعة .

الخاتمة: تखليق بعض النتائج التي توصل إليها البحث .

وفي النهاية يدفن ان تشير إلى ان دراسة الأدب من الناحية
الحضارية، وهو ما أحاول أن ألزم به في دراساتي العباسية لمر شاق وشيق،
شاق لأنك يستلزم جهداً كبيراً في البحث والتقصي في بطون الكتب والمصادر،
حتى تجمع ولو تقلياً سبطنة حول ظاهرة معينة ، ثم محاولة سلطها في بحث
معين ، وشيق لأنك عندما يتم البحث ويسلط الضوء على ظاهرة معينة يتسمى
الجهد الذي يبذل ، بل يستبدل بممثنة تعامله وربما تفوقه ،
وأخيراً أرجو من الله العلي القدير أن يلهمني الصواب وأن ينفع بما
أكتب وأن أنتفع بما أتعلم ، وحسبي أنني حاولت واجتهدت .

أحمد فهمي عيسى



تمهید

والشمعة من الشمع ، والشمع محركة الميم مؤداً : هو الذي يستصبح
به أو يوم الصل ، القطعة : بهاء .

وتشمع ، كمتع ، شمعا ، وشوعا ، ومشمعة : لعب وفرح
وتشمع الشيء شوعا : تفرق ، ومسك متّمٌ : متلوط بالغير .
واثشع التراج : سطع نوره . وشمع التوب : خمسه في الشمع العذاب .^١

فالشمع هو الذي يستصبح به أي الذي يستخدم في الإضافة حتى
الصباح كما نلاحظ أن بيته تكون بالفتح ففيما : الشمع وذكورن بالسكون
فيفعل الشمع . فقد جاء في المصباح المنير ، قال ثعلب : الشمع يفتح الميم
ولن شدت أشكناها ، وقال ابن السكيت : الشمع يفتح الميم وبعضاً العرب
يختلفون ثانية ، وقال ابن فارس : وقد يفتح الميم فافهم أن الإسكان أكثر ، وعن
الفراء : اللفتح كلام العرب ، والمؤثرون يسكنونها^٢ .

ومن هنا نفهم أن الشمعة قد تسكن منها وقد تفتح ولكن الغالب تسكن
الميم . فهي شمعة لـ شمعة . فالشمعة واحدة الشمع . لو كما قال ابن سيدة :
الشمع والشمع لغتان فسيحتان^٣ .

والشمعة تصلح من مادة رخوة تكون من خليط أغله دهني . هذه
المادة هي الشمع والشمع : مادة دهنية تستخدم على نطاق واسع كطبقة وآلية
المختلف الأسطح وهي تقاوم الهواء والماء والتغير الكيميائي . ومعظم الشمع
صلب في درجة حرارة الحجرة ويابن بالتسخين .

^١ - القديرون العبيط : مادة (شمع) ، والمؤم : بالضم ، الشمع مغرب (المصباح المنير)

^٢ - المصباح المنير : مادة (شمع) .

^٣ - لسان العرب : مادة (شمع) .

ويقوم أصحاب المصانع بإنتاج ثلاثة أنواع رئيسية من الشمع :
الشمع المعدني ، والشمع الحيواني ، والشمع النباتي ، ويخلط معظم أصحاب
المصانع نوعين أو أكثر من الشمع ليكتسب ملائتهم الصفات المرغوبة .

الشمع المعدني : يستخدم معظم الشمع المعدني من النقط حيث تستخدم
عمليات كيميائية لفصل الزيت عنه ، وهناك ثلاثة أنواع رئيسية من شمع النقط:
شمع البرلين ، والشمع النفق التلور ، والفلازلين .
وتحتاج هذه الأنواع من الشمع من ناحية اللون والصلابة ودرجة
الانصهار ، ويقاوم شمع النقط الرطوبة والكيموايات ، وليس له طعم أو رائحة
.. وتصنع معظم الشموع من شمع البرلين .

الشمع النباتي : لكثير من النباتات طبقة شمع طبيعية تحميها من الحرارة
والرطوبة ، فأوراق تخيل الكربونية تكتس بهذه الطبقة ، وينتج عنها الشمع
الكربوني وهو من أسلوب أنواع الشمع النباتي ، وأكثرها استخداماً ويطلق هذا
الشمع مثلاً في الجو الحار .

الشمع الحيواني : يستخدم وحده أو يخلط بشمع النقط لصنع الشموع والمواد
الملمعة والمنتجات الأخرى .
وينتج النحل شمع النحل عندما يكون فeson العمل ، ويستخرج شمع
الصوف من طبقة شحمية توجد على الصوف غير المعالج ، ويستخدم دهن
صوف الغنم - وهو نوع من شمع الصوف - في صناعة مستحضرات
الجميل^١ .

^١ - الموسوعة العربية العالمية : مادة شمع ، النجد الرابع عشر ، مؤسسة أصل
الموسوعة للنشر والتوزيع ، السعودية ، الطبعة الأولى .

ولما كانت الشمعة في العصر العجمي تصلب في الأسلين من شمع النحل على الأغلب لذا ينافي أن ترکز عليه . لنعرف كيف تصنع النحلة الشمع حيث " تتطور عدد خاصة منتجة الشمع في بطون الشغالات وعمرها عشرة أيام تقريباً ، وتأكل الشغالات كميات كبيرة من العسل ، وتعمل المدد الشمعية على تحويل سكر العسل إلى شمع .

ويترتب الشمع من خلال تقوس صغراء في الجسم ، ويشكل رقائق بريضاء ، على الوجه الخارجي للبطن ، وتشكل النحلة عادة شعير رفائق فسي الوقت نفسه ، وتترفع النحلة الرفائق من على بطونها بواسطة أرجلها رافعة ليلاها إلى فكها ، وبعد أن تتصبغ النحلة الشمع ، تضعه على جزء من قرصن العسل الذي تبتغه . وتنتح الشمع النحلة شمع النحل عندما تحتاجه لبناء قرصن العسل . وتصنع النحلة بشكل عام لبداية من اليوم العاشر وحتى اليوم السادس عشر من حياتها ^١ .

والشمعة : قضيب من مادة دهنية تتوصله فتيلة يستضاء به وتصنع الشمعة من شمع النحل أو مادة مشابهة ، وعندما تضاء الشمعة ي sisil الشمع الذي يصهره للذهب ، ويحترق هذا الشمع المنصهر ، ويخرج عنه الضوء . وتصنع الشمع في ألوان وأشكال وأحجام مختلفة ، وتُنطر بالواع مختلفة من العطور ^٢ .

ولقد استخدمت الشمع منذ ما قبل التاريخ المكتوب وكانت تصنع من مواد مختلفة خلال القرون ، بما فيها شمع شجرة الشمع ، وشمع النحل ،

^١ - الموسوعة العربية ، جـ ٢٥ ، ص ١٧١ .
^٢ - نفسه ، جـ ١٤ ، ص ٢٦ .

وشعيرات ، وشعير حوت العنبر ، والشم الحيواني ، وتصنع الشموع
يدويًا وفق ما يلى :

إما أن يفرس الخيط عدة مرات في الشمع السائل ، أو يصب الشمع
السائل في قابل بداخله خيط معلق ، أو ثقب طبقات من الشمع اللين حول
الخيط ، ويستخدم صناع الشمع الآلات التي تنتج كعبات كبيرة من الشمع .

وقبل انتشار استعمال الكهرباء للإضاءة في أوائل القرن العشرين كان
الناس يستخدمون الشموع مصدرًا للضوء ، أما في الوقت الحاضر ، فإن
الشموع تستعمل في المناسبات مثل حلقات الميلاد ، أو للزينة في السرحات
وداخل المنازل .

وبعض الناس يهودون صناعة الشموع ، وأكثر الوسائل أمناً لإطفاء
الشمعة هو خنقها بالآلة معدنية تسمى المططا .^١

وفي العصر العصري الثاني كان الاهتمام بالآلة بالشمع من حيث جلبه
من الأماكن المختلفة إلى جانب استخدامه في الإضاءة بالإضافة إلى استخدامه
في الأعياد والمناسبات المختلفة . ففي الاختفال بأحد الأعياد حكى أن تسارعوه
ـ القائد التركي على عهد المقدور ـ تحركـ "في موكيه وبين يديه أكثر من
خمسين فرائس بالشموع الموκية" ، سوى أصحاب النقط .^٢

^١ - الموسوعة العربية ، جد ١٤ ، من ٢٦٠ .

^٢ - الشموع الموكية ، نسبة إلى الموكب ، وهي الشموع الضخمة التي تولد في الموكب
أي في المسير جماعات ركبانا كانوا أو مشاة .

^٣ - رسوم دار الخلاصة : هلال الصابرين ، تحقيق ، ميكائيل عسوا ، من ٩ . دار الرائد
العربي ، بيروت ، أصحاب النقط : هم حاملوا مشاعل النقط في الموكب .

وفي مصر في هذا العصر " كان المصريون يحتفلون بعد الفطاس احتفالاً كبيراً ، وهو يسمى عيد الفطاس ، لأن كثيراً من النصارى كانوا يحتفلون فيه في الليل .. وكان في الرسوم القديمة بمصر أن يركب متسولٍ الشرطة ليلة الفطاس في موكب كبير ، ونونق بين يديه الشموع الموكيية والمتاعل ؛ فيفوط الشوارع وبيانى في الناس لأن يختلط المسلمين بالنصارى في تلك الليلة وألا ينكروا عليهم عيدهم " .^١

وفي عيد الفطاس " كان العادة أن يضاء سوق الشماعين بلمساءة كبيرة ، وكانت حوائمه لا تزال مفتوحة إلى نصف الليل " .^٢

ولم يكن استخدام الشمع في الأعياد فقط ، بل كان يستخدم كذلك في المناسبات المارة كتوليفة الوزارة فويحكي أن أبي الحسن على بن الفرات - وزير المقىدر " لما خُلِعَ عليه جبل الوزارة زاد في ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطاً في كل مِنْ^٣ ، وزاد سعر القراءفين لكترا لاستعماله لهما وكان من رسنه إلا يخرج أحد من داره وقت العشاء إلا ومعه شمعة ملوية ودرج مخصوصى - وجرى رسنه هذه وزارته أن يعطي كل من يخرج من داره عداصفراً الشمس شمعة ".^٤

ونظرًا لأهمية الشمع وكثرة استخدامه كان يدرج له ميزانية خاصة من في ميزانية دار الخلافة ففي أيام الخليفة المكتفي في آخر القرن الثالث الهجري

^١ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ألم متر ، جـ ٢ / ٢٨٩ .

^٢ - نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ .

^٣ - ابن ميكائيل بن رطيلن .

^٤ - الحضارة الإسلامية : ألم متر ، جـ ١ / ١٨٢ .

“ كانت لرذاق الفراشين والمجلسيين ، وخرزان الفرش ، وخزان الشمع ، وأجرة الأئمان والحملان فيها ، في كل شهر أيامه خمسون يوماً من جملة ألف وخمسة دينار ثلاثة ديناراً .
ثمن الشمع والزيت من جملة مائتي دينار في الشهر . اليسوم ستة دينار وثلاثين دينار ”^١ .

ونظرأ لكثره استعمال الشمع بالذات ففي الطبقه العليا . كانوا يضطرون لاستيراده من الخارج ، يقول أبو منز : ” أما ما كانوا يصادرنه من العمل والشمع والوبر فكان يحمل إليهم من ناحية الروس ”^٢ .

وكثيراً ما يلتجأ بعض الناس إلى تخزين الشمع وبيعه - وبالذات الشمع العجمي - بغير من إطاء النار فيها ، فقد جاء في تصور الحاضرة أن أبي الحسن بن عياش عندما أحب دعوة لأبي الطيب بن أبي جعفر الطائي قال : ” وكان أحسن ما شاهدنا له شمعون موكبتهن فيما ثلاثون أوأربعون من بي تورين ”^٣ كثيرون نصبهما في وسط المجلس ، وفرق الشمع الصغار حولهما .

فكان الفراشون إذا أرادوا اقطع الشمعتين ، يطساواها شديداً حتى يقطّعوها .

وكان لون الشمعتين غير ملتح يضرب إلى البياض ، مما قد عُشّب عليهما من التراب .

^١ - الوراء ، لو تحفة الأمراء : لأبي الحسن الهالق الصابري ، تحقيق ، عبد السلام أحمد فراج ، ص ٢٢ ، ديوس النابي الحلي ، سنة ١٩٥٨ .
^٢ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، ج ٣ / ٣٧٤ .
^٣ - العين : الذي يوزن به سواري رطقين ، والتور : أداة ثابت فيها الشمعة .

وجلسنا إلى قريب من الغادة وهو متقدان في ليلة شتوية ، ونتنا
وانتبهنا ، وهو متقدان ، [فنظرت] فإذا الذي أخذ من كل واحدة منها ،
لصابع يسيرة ، وهو باللهما .

قال : فما تملكك ، أن سألكه ، فيما بيته وبنته ، عن سبب ذلك فقال :
هذا عذر ، وعد أبي من قيلني ، منذ خمسين سنة ، ما استعملناها وعندنا
شمع كثير هذا مبيله ، تعمتنا تعقيده ، لأنّه بلغ أبي أن الشمع إذا عرق عشرات
ستين ، ثم استعمل ، كان ما يحترق منه هذا القر ، ونحوه .

فعرق شمعاً كثيراً ، ونشيء ، ومات ، وتشاغلت بعده عن استعماله
ستين ، فلما احتلت لهذه الدعوة الأن ، ذكرت الشمع العتيق الذي في خزانة ،
فأخرجت هاتين منه ، وكان من أمرهما ما رأيت ، وصاحت الجرسية لمن
فيها .^١

وهكذا وجدها المجتمع في العصر العباسي الثاني كان يهتم اهتماماً
بالغاً بالشمع فكان أفراده يحرضون على جله واستخدامه في الإضاءة والأعمال
والمناسك المختلفة وبذلاته الأفراد من الطقة العليا أو من له صلة بهذه
الطبيعة .

وبطبيعة الحال كان الأئمّاء من لهم صلة بالطقة العليا ، ولهمذا وجدها
الشمع في دور كثيّر من الأدياء ، إيماناً لها جاهته مشتراكاً أو مهداً . ولذا
رأينا الأئمّاء كثيراً وشعراء يتناولون في الحديث عن الشمعة ، وإن كان الحديث

^١ - شوار المحاضرة وأخبار المذكرة : القاضي أبي علي الحسن بن علي التسوي ،
تحقيق عيسى الشالحي ، ج ٢ ، من ١٢٠ ، ١٩١ ، دار مستشرق - بيروت ،
١٩٧١ م ١٤٣٩ .

في الشعر عنها أكثر ، فإن الشعر لم يتركها هملا ، بل وجنتا بعض المقطوعات النثرية التي تحدثت عن لوصالها وفولتها ، بل تحدى الأمر إلى وجود بعض المطالعات النثرية بين الشمعدان والقديل ، مما يدل على أن الشمعة كانت حاضرة في أذهان الكتاب ، وليس في أذهان الشعراء فقط.

من المقطوعات النثرية ما أورده التوبيري في نهاية الأرب من رسالة لابن الأثير الجزائري يتحدث فيها عن الشمعة وشعلتها عندما شداعها السريع يقول : " وكان بين يدي شمعة تم محاكمي بالإيسار ، وتفى بوجودها عن كثرة المجالس ، وكانت الريح تتلألب بشعلتها ، وتدور على قطب لهاها ، فطروا نفيمه فتصير أسللة ، وطورأ نسمة فتصير سلسلة ، وشارة تدور فيهما فتصير مذبذبة ، وداره تجعله ذا ورقات فهملا سوستة ، وأونه تنشره فتصير مذبذلا ، وأونه تلقأ على رأسها فتصير إكليلًا ".^١

وفي رسالة أخرى له صور لهاها بصور أخرى يقول : " وكانت الريح تتلألب بشعلها لدى الخادم فتشكله الشكالا ، قنطرة تدور نجما ، وشارة تدور هلالا ، ولربما سطع طورأ كالجذارة في تصاعيف لوراقها ، وطورأ كالأسنان في انضمامها وافتراقها ".^٢

لما عن المناظرة بين القديل والشمعدان فقد أوردها التوبيري أيضا . وفها يتفخر الشمعدان على القديل بأنه ينتمي بمنامة الملوك والأمراء . يقول الشمعدان : " لست بذيم الملوك في المجالس ، كلام ولا الروضة العشاء ".^٣

^١ - نهاية الأرب للتوبيري ، جـ ١ ، من ١٢٣ .

^٢ - نهاية الأرب : جـ ١ / ١٢٢ .

^٣ - نهاية الأرب : جـ ١ ، من ١٢٤ إلى من ١٢٩ .

للمجاءين ! طالما أخذت بي عساكر النظار ، ووقفت في استحسان هياكل روبي الأنصار ، وحيثنت على الرؤوس إذا غافلت باذنك ، وحيثنت كجلاء المرهفات إذا سوة وجهك من دخلتك .

فبرد عليه القدير بأنه يجالس أهل الدين في الأماكن المقدسة يقول : * إن كان فدرك بمحالسة المسلمين فاقتحاري بمحالسة أهل الدين ! طالما طلعت في أفق المحراب نجماً أزداد علا ، وازدادت الأماكن المقدسة يشموس أوارى خلا : جمع شكل مجموع العناصر ، فعلى مثل تلك الخواص ، يحسنني الرائق جوهرة العقد الشين ، إلا رأي لسفرار لوشك كمسيرة الحزيرين ... *

فبرد عليه الشمعدان متباهاً بارتفاع ثمنه ، وأنه لا يكون إلا عند علبة القوم .

فبرد عليه القدير بأنه يوضع في موضع أعلى من موضعه فيقول الشمعدان : * طالما علا القائم وإنحطت الفرسان ، ومكث الجمر وسموا النخان ثم تستقر المبارزة وكل منها يستخدم حاججه وأدله إلى أن تنتهي المناظرة وكل منها يعترض بفضل الآخر . *

وهكذا وجدنا أن النثر لم يكن بمتناهى عن وصف الشمعة .

ولكن الشمعة كانت قريبة كل للقرب من الشاعر لأنها كانت مؤنساته وأدله في الليل الطويل . وبهذا وجدنا الشاعر يتأملها ، وينتفق فيها ، بل يطلع عليها حاليه النفسية ، لأن حاله كحالها . فخرجت إليها مقطوعات شعرية رائعة وصفت الشمعة ، وذكرت قوالدها ، وصورتها ، وبثكت النلزم النفسي بينها وبين الشاعر . وهذا ما سنحاول أن نوضحه من خلال هذا البحث .



الفصل الأول

وصف الشمعة



وصف الشمعة : والوصف من الأغراض الشعرية القديمة الحديثة لأن الإنسان منذ لقمه جبل على وصف كل ما تقع عليه عيناه ، كما أن الموصوف يتغير من عصر إلى عصر ومن بيته إلى آخرى ومن هنا كانت حداثة الوصف .

والشمعة من الأشياء التي لفت انتباه الشعراء في العصر العباسي الثاني ولأثر تأملهم فتوقفوا عندها بالنظر مدققين في كل جزء منها ، وأ minden كل حالة من حاليها ، ربما لأن وجود الشمع ، أصبح ظاهرة حضارية أو ربما لأن الشمعة هي الرفقة والمؤانسة في ليتهم الدامس ، فما أكثر ما أغفلت عليهم أبواب .

فالشاعر عندما يصف الشمعة يصف شيئاً مقارباً إلى نفسه فوجنهه ينتمي بقدرها وقوتها ، ووجنهه يدهش لونها ، ووجنهه يشقق عليها من بكالها وهو يعلم أنها تكى لتوتها ، وجنهه يتأمل في عريتها . وجنهه مقصر البدن عندما يراها تتحر لقصص الآخرين . إنها عنده في النهاية مثال للشخصية .

والشعراء عندما قدموا هذه الأوصاف للشمعة لم يقدموها بألوبيبة واحدة ، ولكن أحياناً يبدأ شاعر بالفؤام المعتدل ، ثم يباتي بحقيقة الصفات ، وأحياناً يفضل البدء باللون وأحياناً يبدأ بكلاتها وسموها . ونحن مستعرض لأوصاف الشمعة حسب بدايات الشعراء لأوصافها . فنبدأ من بدأ بالحديث عن قوام الشمعة واعتداها وما أضاف من أوصاف أخرى .

فيطلعنا الميكالي ليرى لشمعة معدنلة القرم كفؤام الغصن ، حيث تقل مع نورها قيمة حمرة الشمس عند الغروب لأن نور الشمعة مع الليل يزيد والتفق مع دخول الليل ينتهي ، ولكنها تستقبل الليل بدموعها وقلقاً البادئ في

اهتزاز شعلتها ، مما يضفي على لونها صفة كسفرة العاشق ، فكأنها تناشد
ما يكابد ، ولكن العاشق جواه وناره في حشاد لها هي فتارها في رأسها . إنها
تلذتنا في فترة نحن في أمس الحاجة إليها فيها من الغروب إلى الشروق
وكانها تغير بنا طريق الليل المظلم بأمان يقول الميكائيلي :

سارة عصرين بسوره
بزرى بالسور الشراق
بطسل طسل عصره
بيكى بجهن لرق
مسفرته تخسر من
عشراق ولهم بعشراق
نسار المحباب فى العطا
ونسارة قوى المفارق
لاح لتسافى مغرب
فردى فى شرق

أما الولاء للمنشقى فصور الشمعة معبدة القوام كالغصن أو كالألف
الذى يرسمه يقمه ، يمثلن لهاها بالرضايب . ولكنه رضايب ملتهب ، هسى
عريانة ولكنه عرى يثير في النفس الحمّ ، تظل طوال ليتها تكب الصاع من
عينها ، إليها تكابد ، فعمّرها هو فترة مكابدتها ، يقول^١ :

^١ - ديوان الميكائيلي : تحقيق حليل عطية ، من ١٥٨ ، عالم الكتب ، بيروت - الطبعة
الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٢ م .
^٢ - ديوان الولاء للمنشقى ، من ٥ ،

فِوْلَمْ عَصَمْ كَانَهُ لَكَ
تَهْدِي لَنَا مِنْ رِضَابِهِ لَهَا
بِاطِنَهَا مَكْتَسِيٌّ وَظَاهِرُهَا
لِلْعَيْنِ يُبَدِّي مَلَائِكَةً عَجِيْبَةً
قَدْ يَتَسَبَّسَ مِنْ بَكَانَهَا فَتَرِي
لِعَمَهَا طَرْوَلٌ لِلَّهَا سَكِيْبَا
كَابِدٌ لِلْيَسَلٌ وَهِيَ جَاهِلَةٌ
وَعُمْرُهَا فِي الْكِبَادٍ قَدْ ذَهَبَا

أَمَا الصَّوَّبِيرِيُّ فَيَرَاهَا دِفْقَةَ الْقَدَّ، مَفْتُولَةَ الْقَوْلَمْ، مَلَاءَةَ الْكَلْرُوعْ، أَوْ
كَالْخَدُودَ الْمَشَاءَ النَّاعِمَةَ، جَيَانَهَا تَتَنَزَّلُ دَائِمًا بِعِمَانَهَا، فَالْمَلَلُ الَّتِي تَتَنَحَّلُ فِي
رَأْسِهَا هِيَ الَّتِي تَنْطَلُ فِي أَجْلَهَا . يَقُولُ :
مَجْدُولَةٌ فَسِيْنٌ قَسَدَهَا
تَحْكِي لَنَا قَدْدَهَا الْأَسْلَلْ
كَانَهَا عَمَّرَ الْقَدَّسِيْ
وَالنَّسَارُ فِيهَا كَالْأَجْلَلْ

ثُمَّ يَعُودُ الْمِيكَالِيُّ لِيَجَدُ الْمَادَةَ الَّتِي تَسْتَعِنُ مِنْهَا الشَّعْمَةُ فِي مِنْ أَبْيَاتِ
النَّحْلِ، أَيْ مِنْ شَعْرِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَصْنَعُهَا؛ مَعْتَدِلَةً كَالْجَارِيَّةِ الْكَاعِبِ، صَفَرَاهُ

- دِيْوَانُ الصَّوَّبِيرِيِّ، صِ ٤٣٢ ، وَوَرَبَتُ الْأَيَّاتِ فِي دِيْوَانِ السَّوَادِ الْمَشَفِيِّ، صِ ١٨٠،
مَعْ اسْتِدَالٍ (مَجْدُولَةٌ) بِـ (مَعْشَوَةٌ).

بأكثـر كـالعـاشـقـ ، إـذـاـ تـقـتـمـ النـاسـ بـأـلـوـبـهـمـ قـلـنـ ثـوـبـهـاـ — يـقـدـسـ خـيـطـهـاـ الدـاخـلـيـ —
لـاـ يـجـزـ عـلـيـهاـ هـيـرـ الشـاءـ وـالـبـلـاءـ .

يقول الميكالي^١ :

وـقـضـيـبـ مـنـ ذـنـاتـ النـجـلـ فـيـ ذـكـارـ الـكـانـبـ
يـشـبـهـ العـاشـقـ فـيـ لـونـ وـدـمـعـ ذـيـ الـسـكـابـ
كـسـيـ الـبـاطـنـ مـهـ وـهـ عـرـبـ الـإـهـابـ
فـلـذـاـ مـاـ نـعـمـ الـأـسـدـانـ بـلـبـوسـ الـشـابـ
فـهـوـ الشـفـرةـ مـنـهـاـ فـسـ بـلـامـ وـعـذـابـ

ويأتي سليمان التصريبي لرسم لنا لوحة حية للشمعة ، وفيها تظهر
الشمعة مسؤولة مثل صدر الفتاة ، عربات من الخارج مكتوبة من الداخل ،
تصب من مقلتها دموعاً هي التي تعطيها الحياة ، لها رأس من الخطيب كالبرنس
لا تستيقظ من تعاسها (لا يقطُّ رأسها) ، إذا ما داعيَها الرابع الخليفة أخرجت
لساناً كالذهب .

هذه الشمعة تغمرنا بالسعادة لأنها تضيء ليلنا الداين ، وهي بهذا
العمل منحوسة تعم لأكمل وهي تُقْنِي ظلام الليل تُقْنِي هي أيضاً ولكنها على
ليه حال آلة للتدامي يستعينون بها في ليتهم فتضفي على مجدهم السعادة^٢
والمرح ، يقول :

^١ - ديوان الميكالي ، من ٤٨ .
^٢ - بقمة الدهر ، جـ ١ ، من ٤٠٩ .

وِمَدْوَلَةٌ مُثْلِ صَدْرِ الْفَلَاهِ
تَمَرَّزَتْ وَبَاطَنَهَا مَكْتَسِي
لَهَا مَقْلَةٌ هِيَ رُوحُ لَهَا
وَشَاجٌ عَلَى الرَّأْسِ كَالْبَرِيسِ
إِذَا رَنَقَتْ لِلْعَسَانِ عَرَا
وَقَطَّتْ مِنْ لِرَأْسِنِ لَمْ تَسْعَنِ
وَإِنْ غَازَنَهَا الصَّيَا حَرَكَتْ
لِسَانًا مِنْ لَذْهَبِ الْأَمْلَسِ
وَتَسْتَجِعُ فِي وَقْتٍ تَقْبَحُهَا
ضَيَاةً يُؤْلِي دُخَانَ الْجِنَّسِ
فَتَنَحَّنَ مِنْ لَتُورِ فِي أَسْدِ
وَتَلَكَّ مِنْ لَتَارِ فِي لَحْسِ
وَقَدْ نَابَ وَجْهُكَ عَنْ حَسْوَنِهَا
وَعَنْ ذَا لَيْقَسِيجِ وَالْمَرْجَسِ
وَلَكَتَهَا أَلْيَةُ لِلنَّدَامِ
وَتَجَمَّعَ تَسَائِلُ فِي الْمَحَلَّسِ
تَوَقَّدَهَا نِزَاهَةُ الْعَرَبِونَ
وَرَوَيَتَهَا مُنْبَرَةُ الْأَفَسِسِ
تَكَبَّدَ لِلظَّلَامِ كَسَادَهَا
فَكَنْسِي، وَكَنْبَهَ فِي مَجَلسِ

أما الطفراوى فيدعها بالخلة فى اعتدالها ولكنها ليست كالخلة فى
ارتفاعها ولهذا فشارها فربية ، كما أنها ليس لها عروق فى الأرض ، ولا
تنتج سعفاً كالخلة . ثم يشير إلى كماتها الفضى المركب فى جسدها الذهبى ،
تمتد حياتها من ذهبها ، أشعتها الذهبية تعلق نوراً وناراً فى نفس الوقت
ولذلك فهي أئمه ما تكون بالشہب ، وفور إضاءتها سرعان ما يفسر الضلام
ويعن في الهرب .

يقول الطفراوى ^١ :

لمحت تخلاً تجاهى

شارها من كتب
مخلوقة من فضة
مفروسة فى ذهب
من ذهبها تمسق ولا
تسرى إلا لسم تذنب
لا عرقها تحت اللثري
ولا لها من كرب
تحملى فوق رأسها
جمارة من ذهب
وطعنه ساعد
من ذهبها المنكوب
مغروسة فى مجلس
ضياء بمرأى عجب

^١ - ديوان الطفراوى ، ص ٧٥ .

نور دار

شريعة بالذهب

يعن جند الظل من

لقائهم ساين البر

وإذا كانت الأسئلة المسليقة قد ركزت على قوام الشمعة واعتدالها فبعض
الأمثلة يركز على اللون لأنّ أقل غبره من الصفات ، فألوان الفرج البيضاء -
وضع الشمع العصفر على الكراسي الصفر (النحاس) وبليسها عالياً من
شمس الأصيل (العصفر) فتعطى خلماً من الصفر أي من الذهب ، ثم إنها
تذرف دموعاً كالماء الأصفر ، فيجده قد ركز على لونها الأصفر بالإضافة إلى
ما تعنها به من صفات سابقة يقول البيقاء^١ :

وصفر كأطراف العوالى قدودها

قيل على أعلى كرسي من الصفر

تبين من شمس الأصيل غالباً

فأشرق في الظلام بالجلع الصفر

عرائس يجلوها النجى لمماتها

وتحيا إذا أترت دموعاً من النسر

إذا ضربت أعادتها في رضا النجى

أغاره من أوارها خلص الفخر

^١ - نشور المحاضرة : القاضي المحسن التسوخي ، جـ ٢ ، ديوان البيقاء

ص ١٠٠

يكي على لحيتها بجسمها
فأتشعّها لجسمها ليبدأ تجري
علها ضياء عامل في حياتها
كما تعلم الأيام في قصر العمر
أما لو إسحاق الصانع فيقدمها على إباء من فضة حتى يبرز لنا لونها
الأصفر ، فكأنها شفق الشمس في وقت المحنى فجمع بين جاذبيتين للشمس في
وقت واحد . يقول :
سفراء كالتير جامها يشق
شعاعها كالستاندال يلائق
كلن في كف من ناك بها
ضيق نهار في وسطه شفق
 فهي سفراء كالتير ، أو كشعلة الفيلة الصفراء ، أو كثقب الشمس
الأصفر المشوب بحمرة ،
وشاعر آخر يراها سفراء تشع لمعة ذهبية سفراء على المجلس
يقول ^١ :
وصفراء تنشر من رأسها
ذواب سفر على المجلس
الأصفر المشوب بحمرة .

^١ - الأهمي والأغفار الأنثوية ، من ٢٥١ .

كما نجد بعض الشعراء يقدمون البكاء والدمع على غيرها من
الصلات الأخرى .

فأسماء بن منلا يصورها باكيّة في جوف الليل المظلم وهي لا تكفي
إلا من ذارٍ تدب في لثانيها فتساقط تموّعها جمراً ، وربما تكفي لصدّ حبيب
أو لجمع شمل قد شتت ، يقول^١ :

ومفرددة تكفي إذا جنّ ليهَا
خفاقة وفي لثانيها اللَّذَّا وَاللَّذْعُ
تدوب جوّي ، إيمًا لصدّ وهجرة
وابتاً لبيّن ، ما لشنيه جمّع
قام لر جمراً ذاتياً غير دمعها
ولا جسم ياكٌ فيها كله تشفع

لما الشاعر أبو محمد الدوغري ، فيجعل دموع الشمعة تجري من
مراكبها الصغاراء التي رُكت فيها ، فظهور هذه الدموع للظاظرين أو ربما
تساقط على رؤوسهم فيلمسوا تضحيتها فهي تحرق كي تحمل الليل لهم نهاراً
يقول في خطابية^٢ :

وباكينات قصائر الأحصار
يادمتع منفر لها خوار
إذا انتظرت مراكب النظائر
وبيزرت لأعين النظائر
عاد ظلام الليل كالنهار

^١ - ديوان أسماء بن منلا ، ص ٢٠٤ .

^٢ - ديوان القصر للناشرى ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

لما الشاعر مطرن بن جماعة بن سامي (ت ٦٠٥) ^(غير ألم بسرعه)
بكاء الشمعة وشكواها لأن لسانها لم يترقب عن الإضاءة ، حتى كأنه دانها
كستان الذهب لرمي من التجين ، وهذه الصورة لا تكون إلا في حال إشغال
الشمعة . يقول :

جذلت بجسم لسانه ذرب
ثبكي وتشكو الهوى وشلهيب
كأنها فسق يمسين حالمها
رمضن لجين سنانه ذهيبة

فوائد الشمع :

ويعد أن انتهينا من وصف الشمعة ورأينا كيف تعنى الشعراء بعنوت
مختلفة تدل على مدى القرب منها والتأمل فيها . تنتقل إلى ذكر بعض فوائدها
فطبيعي أن يكون أول استخدام لها في الإضاءة ، وهذا الاستخدام بالذات هو
الذي جعلها مذكورة للتأمل من الشعراء وقد ورد في رسوم دار الخلقة ما يشير
إلى هذا الاستخدام "فدعتما لرلا فرج بن زياد - الذي كان يتسلى المتسابع
الخاصية على عهد الملوك - أن يغادر بيت المخدى بن ابن الكاتب أمر المخدى
المعلم بحمل الشموع بين يديه إلى داره بعد أن جهد به في أن يركب قسم
يفعل " وبعد أن عاد المعلم إلى بيته في موقف آخر قال لغلامه : " يا طريف
؛ فقرب الشمعة ملي ، فقررتها إليه " ^٢ .

^١ - معجم الأنساء ، ج ٢ / ٥٠٦ .

^٢ - رسوم دار الخلقة : لأبي الحسين هلال بن المحسن الصابري ، من ٤٣ ، دار الراشد
العربي - بيروت - لبنان .

^٣ - نفس المصيحة .

و هذا يدل على أن الشمعة كانت تستخدم للإضاءة في داخل البيت
وخارجه في الليل .
ولهذا وجدنا الشعراء يعرضون عن هذا الاستخدام الشمعة . فأبو إسحاق
الصابري لا يجد وسيلة للإضاءة حتى يصل إلى حبيبه في ليلة مجندة شديدة
الظلمة غير شمعة هباء ذقة الخضر يقول :
وليلة من حماق الشهير مجندة
لا النجم يهدى المسري فيها ولا القمر
كفت نفسي بها الإذلاج ممنطضاً
عرماً هو المصارم المصاصمة التذكر
إلى حبيب له في القلب مازلة
ما طلها قلبه سمع ولا يصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة
تهدى الركاب وجلنج للليل مختار
خصن من الذهب الإبريز ثغر في
أصله بالقوشة مغاره تستعر
ذليك ليلاً كما يأتي المربيب فان
لاح الصباح طواها دونك الخضر
لما البيكالي فلا يقطع ظلام الليل الداكن إلا بشمعة كمسود الثغر الذي
يشق جلابيب الظالم ، ثم يتأمل الشمعة وهو يسير بها فينعتها بعنوانها المختلفة .
يقول :

^١ - بقية الدهر ، جـ ٢ / ٢٦٧ .

^٢ - زهر الأدب ، جـ ٣ / ٧٦٧ ، ديوان البيكالي ، من ١١٥ ، ١١٦ .

وليل كلون الهجر أو ظلمة الجسر
نصلينا لداجنه عموداً من التمر
يشق جلايب السجي فكاننا
نرى بين نلينا عموداً من التجر
بحاكى رواة العاشقين بلوكه
وذهب حشاد والنسموع التي تجرى
خلال أن جارى النعم ينطلق قوى
ويعهدى بدمع العين ينحل لا يجرى
يتدلى لنا كالشخصين قدائً فوقه
شعاع كلنا منه فى ليلة القدر
تحمل نوراً حلقه فيه كامن
وقيه حياة الألس واللهم لو يدركى
قراء يكتب الدهر فى برى جسمه
وقد كان أولى أن يبريش ولا يبرى
إذا ما عانه علة جذارنه
فيختال فى ثوب جديد من العمر

وأشاعر آخر هو السرى الرفقاء يُعد شمعة لفسق الليل حيث لا تتضمن
معالم الطرق والdroob ، يقول^١ :

^١ - نزهة الأيسار فى مجلس الأشعار للعنابى ، من : ٤٨١ ، ديوان السرى الرفقاء ، ٢١٥ .

اعذنت لليل ، إذا لليل عشق
وقد الأحنان من دون الطريق
الحسن يغير عزيز من السورى
شارها مثل مصابيح الأفق
يُعنى اللذامى متزوجها عن اللائق
شلواها لى مرضت ضرباً العشق

كما يبرر أبو طالب المأمونى هذا الاستخدام فيقول^١ :

وطاعنة جلباب كل دجنة
بماضى سنان فى زيارة ذابل
تجود على أهل الندى بنفسها
وما فوق بذلك النفس جود ليالى
ونقري عيون الناظرين ضيواها
وقد قُبّدت أحاظتها بالأمسال

وهكذا نجد أن الشمعة كانت وسيلة من وسائل الإضاءة فى الليل ،
ولكنها لم تكن الوسيلة الوحيدة ، حيث كانوا يستخدمون مسارج النفط ، يقول
المرسى الرفاه : في وصف سراج^٢ :

^١ - بقية الدهر ، جـ٤ ، من ١٧٣ .

^٢ - ديوان المرسى الرفاه ، من ١٧٠ ، ويقصد أن شعلتها شمع في الزيت .

وَجْهَةِ فَسِي رَأَسَهَا نَرَأَةُ
شَبَحٌ فِي بَحْرٍ فَصِيرٍ الْمَدِي
وَإِنْ هِيَ غَيْلَتْ فَالْعَمِنْ ظَاهِرٌ
وَإِنْ يَكُنْتْ بَانْ طَرِيقَ الْهَدِي

ونظراً لأهمية الشمعة في الإضاءة ، فكثيراً ما كانت تضم كهدية قيمة للغور . أي أن الشمعة كانت تزودي ذوراً اجتماعياً حضارياً . والهدايا كما نعلم كم توقف من قلوب وتغير من مواقف يقول بعض الشعراء^١ :

لِنَهَادِيَةَ حَلَّةَ وَ
كَالْمَسْحُرِ جَنْلَبَ الْقُلُوبَ
كُلَّكَيْلِيْسِ مِنْ الْمَوْى
حَتَّىْ تَصْسِيرَهُ فَرِيزَ
وَمُعْيَدَ مُخْسِلَنَ الْمَدِي
وَهَبْعَدَ لَقْرَتَهُ جَرِيزَ

ومن هنا ظهرت الشمعة في التبرير في شعر التهادي ، لأنها ظلت خلاً وفيها للشعراء في ليتهم الناجي ومع لحظات إيداعهم القفة ، فالشاعر فرد من أفراد المجتمع ، عليه دور اجتماعي لإبدال بواديه ، ولهذا وجدها إما أن يهدى أو يهدى إليه ، وكانت الشمعة من الأشياء الشائنة التي يقدمها الشاعر للغور ، ويفرح بها إن فكت له من الغور .

^١ - عيون الأخبار : لأن قبة ، جـ ٢ / ٤٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فالصويرى لم يجد أفضل من الشمع يقدمه كهدية لرجل يعزه ويقتره
يقول في هدية شمع أهدأها^١ :

يَا أبا حفصِنْ قَد اخْتَرْ
تُؤْلِمَنِ الْمُتَقْتَرْا
وَتَلْطِّعْتِ الْمُتَلْعَرْا
تُكْبِرْتِ الْمُتَكَبْرَا
لَمْ أَجِدْ شَيْئاً لِشَيْءِ
يَعْمَلْ الْمُرْبَلْ تَهْرَرْا
فَأَمْلَ مِنْ قَرِيبْ
شَجَرَا يَحْمَلْ تَلْرَا
وَكَثُرْتِهَا مَذَكْ قَبْرَلْ
تَكْسُنْ مُهَدِّدَهَا فَخْرَا

أنا كثاجم صديق الصويرى يقام هدية هو الآخر إلى بعض الملوك
هذه الهدية عبارة عن شمعة، فيهى الضيافة إلى من أفاءه مثل الضياء .
يقول^٢ :

وَصَافَرَ مِنْ بَذْلِ النَّحْلِ تَكْسِي
بَوَاطِهَا وَلَظِهِرِهَا عَوْلَرِي
عَذَارِي يَقْضَضُنْ مِنْ الْأَعْالَى
إِذَا اقْتَضَتْ مِنْ السَّقَلِ الْعَذَارِى

^١ - ديوان الصويرى ، ص ١٥ .

^٢ - ديوان كثاجم ، ص ٢٠٣ ، زهر الأذاب ، المجلد الثالث ، ج ٣ / ٧٤٨ ، والأبيات
ملسوية إلى الصويرى ليصلأ في ديوانه ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٦ .

وليس تتسع الأضواء حتى
تفتح فى ذوالها بسوار
كوكب تشن عليك بسلافات
إذا ما أشرقت شمسن العقار
بعثت بها إلى ملك كريم
شرف الأصل محمود الجزار
فأهديت الصناعة بها إلى من
مخالسته تُخْبِن لكل سارى

لما شری الرقاء فيصيغ شعراً أهدى إليه ، معبراً عن فرجه بهذا
الشمع ، وينتهي بالعديد من النحوت المختلفة يقول :

جاءت هديتك التي
هي شمسنا بعد الغروب
حليست أفق مهاتا
منها سأنت لهم لو شهاب
بسالية التحفل الكريمة
سم ، شقيقة التلطف العذاب ^١
صغير الخسوم ، دائمًا
صبيحة من الذهب العذاب

^١ - ديوان شری الرقاء ، ص ٦٧ .

كيل ماء الحشن ، إذ
 شرفت به ، ماء الشبل
 فإذا تكثت نرافها
 سهلا ، وجدت في التهاب
 لسان طيبا يخالها
 طيب العبر ، أو العتاب
 وإذا عزفها مرتضة
 فلمسها حشرها الركاب
 شسى لذى عن لوبه
 همودة مرتدين الحجاب
 لسولا غراسيا يليها
 لارثا فى لون الفرب

وتجده أيضا يعبر لصديق له عن فرحة بهديه التي أرسلها له في عيد
 الميلاد والتي تحمل في قلب الشاعر . وهي هدية لاقت صدى طيبا عند الشاعر
 فنراه يقول :

بحثت فى العجلانلى بدعة
 تحمل فى هما عين ريهما
 هريرة لم لز من ظرفها
 اعجب لم من ظرف مهدتها

^١ - العتاب : طيب بشبه الزعفران .

^٢ - ديوان المترى الرگاء ، ص ٤٥٩ .

فِيَابَ شَمْعَ يَشَاهِي الدُّخْنِ
مَجْلِسًا عَنْدَ تَلِيهَا
كُلُّهَا أَعْصَلَ بَرْ تَدَتْ
زَهْرَةُ نَسَارٍ فِي أَعْلَاهَا
لَرَوَاهُهَا دَاكِلٌ أَحْسَانَهَا
عَنْدَهَا وَقَنَى جَنِينَ تَنَاهَا
سَرَقَهَا يَخْسِرُهَا أَعْنَاهَا
وَقَوْبَذَكَ الْفَعْلُ يُحِبِّهَا

لما سبط التعلويدي فتصور كما لو أن الشمع كان عزيزاً ، فعندما
جاءه شمعة - وليس شمعاً - من بخار ، يتصور أنه كان يحرق معها ،
يقول^١ :

وَيَخْسِلُ قَسْطَمْ لِي شَمْعَةَ
وَحَالَهُ أَخْرَقَ مِنْ حَلَهَا
فَمَا جَرَتْ مِنْ عَيْلَهَا دَمْعَةَ
إِلَّا وَمَنْ عَيْرَهُ لَمْ تَلِهَا

ومن هنا يتضح كيف صور لنا الشاعر الشمع هدية قيمة عندما يتناولون
بين أفراد المجتمع . كما يتضح أنه كان يقترب في الاحتياطات والمناسبات المسارة
كأعياد الميلاد بجلب استخدامه في الإضاءة وبهذا وجدنا أبا الحسن على بن
الغرات وزير المقترف عندما ولى الوزارة أكثر من استخدام الشمع لتهاجأ بهذه

^١ - ديوان سبط التعلويدي ، ص ٣٢٩ ، ٣٢٨

المناسبة ، بل وبهدي كل من يدخل داره ويخرج منها ليلاً شمعة ي يقول ألم
عذر : ^١ ولما خلُقَ على هذا الوزير خلي الوزارة زاد في تلك اليوم ثمن
الشمع فبرأطاً في كل منْ وزر سعر القرطليس لكثرة استعماله لهما ، وألاه
كان من رسمه ألا يخرج أحدا من داره وقت العشاء إلا وعده شمعة منبوية
ودرج منصوري ، وقد سُقِيَ في داره في ذلك اليوم والليلة أربعون ألف رطل
ثجأ ، وجرى رسمه مدة وزارته أن يعطي كل من يخرج من داره عند
سفرار الشخص شمعة ^٢ ، فلما حظ من الناس أنه استخدم الشمع بكثرة بالغة
ما أدى إلى ارتفاع سعره .

ولا تتوقف فولاذ الشمع عند الإضافة لو اتهادي بها فقط بل كثيراً ما
تستعمل في الزينة فاحياناً توضع في طقوس نحاسية فتختفي فيها وتتمايل
فتعطي بجانب إضاءتها منظراً جميلاً .

يقول أبو طالب المأموني في طقوس الشمع : ^٣
وحديقة نهرين فيها دوحة
لم ينهمها ترب ولا أمطار
فسعدوها صفر ونامي غصنها
شمع وما قد لمرضة انسر

والأجمل من هذا أن توضع هذه الشمع في البرك الصناعية التي
كانوا يكتنون فيها ، فيخرج حمود النار من وسط الماء ، يصور هذا أبو الفتح
بن كثاجم يقول :

^١ - تحضير الإسلام في القرن الرابع الهجري ، ٦ / ٨٢ .
^٢ - بيته الدهر ، ج ٤ / ١٧٣ .

بركة صفر عمودها شمع
تغيب ناراً من موضع الماء
تيكي إذا ما المقص خشها
قرط حياء من الأخلاه
كأنها عاشق مخلصه
فيه بسواء لعنة الرانسي
صفرة لسون وذوب معنوية
ودممع حزن ، ونار أحشاء

أما أبو الفتح أحمد بن يوسف الكاتب فصور أهتزازها وخلاعها فوق
صفحة الماء ، باليد الذي يتحرك مع ذلك يقول :

وشمعة وسط ليمن البرك
تمرس في الماء ميس مرتبك
كأنها تدبر في السماء سرى
فخار فى لوجه من ذلك

وكثيراً ما كانت تستخدم الشمعة كأداة من أدوات اللهو والتصف
والشراب ، حيث كان يستعين بها السكارى في الليل للتضليل المكان الذي
يشربون فيه ولا سيما الأديرة .

^١ - بيتية الدهر ، ج ٤ / ١٣٨ - ١٣٩ .

وَهَذَا الشَّرِيْرُ الرَّفَاهُ يَصْفِ لَنَا لَيْلَةً مَكْرَ فِيهَا بِقَطْرِيلٍ وَكَيفُ الْمَسْعَانُ
هُوَ وَنَدْمَاؤُهُ بِالشَّمْعِ لِإِضَاعَةِ النَّوْرِ ، يَقُولُ :

كَسْكَكُ الْمَسْبِيْرَةِ رِيمَانُهَا
وَأَهْدَتْ لِكَ السَّرَّاجَ زِحْلَانُهَا
فَتَمَ لِلْتَّدِيمِ عَلَىْ عَهْدِهِ
وَهَذَا الشَّدَامُ وَنَدَانُهَا^١
فَقَدْ خَلَعَ الْأَكْنَقَ شَوْبَ الدَّجْنِ
كَمَا نَضَتْ الْبَيْضُ أَجْلَانُهَا^٢
وَسَاقَ يَوْاهِنَى وَجْهَهُ
فَجَعَلَهُ الْعَيْنُ بَسَاتَانُهَا
يَسْوُجُ بِالْكَلْبِيْرِ كَفَّ التَّدِيمِ
إِذَا نَظَمَ الْمَاءَ تِجَانُهَا^٣
فَطَسْوَرَأُ يَوْشَحَ بِالْوَهْمِ
وَطَسْوَرَأُ يَرْصَنُخُ عَيْانُهَا^٤
رَمَقَتْ بِالْوَاسِهَا خَلْبَةُ
مِنَ الْأَهْوَأِ تَرْمَجَ مِنَانُهَا^٥
وَدِيرَ شَلَفَتْ بِغَلَانَهُ
وَكَدَتْ لَقْلَلَ صَلَانُهَا^٦

^١ - بِتِيمَةِ النَّوْرِ ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ ، الْبَيْوَانُ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٣ .

^٢ - خَدٌ : يَأْكُرُ .

^٣ - الْبَيْضُ : الْبَيْوَفُ . الْأَجْلَانُ مَفْرِدَهَا جَنْ : خَدَ الْبَيْفُ .

^٤ - الْعَقَابُ : النَّهْبُ الْخَالِصُ .

^٥ - تَرْمَجُ : تَنْهُرُ الْعَيْارُ .

فَلَمَّا نَجَى النَّيْلُ فِرَحَهُ
بِرُزْوَجٍ تَجَنَّفَ خَلَفَهُا
يَشْعُرُ أَعْيُرَ فُدُودَ الرَّسَاحِ
وَشَرْبَاجَ ذَرَاهَا وَأَوْلَاهَا
عَصُونَ مِنَ الشَّرِّ قَدْ لَزَمَرَتْ
لَهِبَّاً نَّزَّلَنَ لَفَانَهَا
فِي حَسَنٍ لَرَاجِهَا فِي الدَّخْنِ
وَقَدْ لَكَلَتْ فِيهِ لَيْدَانَهَا
سَكَرَتْ بِقَطْرَلِ لَلَّاهَ
لَهُوتَ فَخَارَلَتْ عَزَلَهَا
وَأَيْ لِيَالِي الْمُوْيَ اَحْسَنَتْ
إِلَيْيِ فَانْكَرَتْ إِحْسَانَهَا

وَهَذَا شَاعِرٌ أَخْرَى يَسْلُطُ شَعَاعَ الْأَصْفَرَ عَلَى كَلْوَسِ التَّرَابِ مَعَ
أُولَئِنَّ التَّرَابِ ذَاهِلٍ لِلْمُتَّفَلِّلِ الْأَلْوَانِ حَتَّى تَصْبِحَ وَكَانَهَا أُولَئِنَّ طَلِيفٍ ، يَقُولُ^١
وَصَفَرَةٌ تَثْرَرُ مِنْ رَأْسِهَا
ذَوَاقِبٌ مَسْغُرٌ عَلَى الْمَجَلسِ
تَبَعَمُ التَّدَامِيُّ بِهَا كَسْبَوَةٌ
ذَكَلٌ لَسْدِمٌ بِهَا مَكْتَسِيٌّ
تَمَارِجُ مَشْرُوبِهِمْ رَفَةٌ
وَنَقْنِي شَعَاعًا عَلَى الْأَكْنُوسِ
تَرِيكَ إِذَا حَدَّقَ عَيْنَهَا
عِوْنَاسُ مِنَ الرَّاهِرِ وَالسَّرْجَنِ

١ - الأحادي والأعجاز الألبية ، ص ٢٥١

وشاعر آخر يصنع جواً بهيجاً عناصره السرقة والكأس والفناء
والشمع مجسداً كل هذه العناصر ، يقول^١ :

أطربنا العود إلى أن غدا
مقاتلاً برقن مع صحبه
فتشمنا قام على ساقه
وકأسنا دار على كعبه

أما الشاعر الزركاء فينظم الشمع في منظومة من عدة عناصر اجتمعت
فكوت ليلة حسنة . يقول وهو يمدح الوزير أبي محمد الحسن المأبلي ،
ويصف ليلة شرب فيها على برك وفوارث ، ظلماً لقول الليل رأكْت له رماح
عليها الشمع فأضاء الموضع وحسن^٢ :

فضئت ليالي القصب ليالك التي
هي في العذاب خسنة
رُقْتْ غَيَاهِها ، فهِنَّ عَالِلُونَ
وَسَخَّنَ جَانِبِها ، فهِنَّ رَحَاءُ
وَصَبَّتْ لَكَ اللَّذَّاتِ بَيْنَ غَرَائِبِ
الْعَيْنِ ، فَهِنَّ لَوْسَائِلُ مَسْنَافَةِ
بِرَكَ تَحْلُّتْ بِالْكَوَاكِبِ أَرْمَنْهَا
فَأَرْكَ وَجْهَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ سَمَاءُ
رَفِيعَتْ إِلَى الْجُوزَاءِ فَوَارَنْهَا
غَدَا ، يُصَابُ بِصَوْبِهِ الْجُوزَاءَ^٣

^١ - خزانة الأدب : ابن حمزة الحموي ، ج ٢ / ١٧٩ .

^٢ - ديوان الشاعر الزركاء ، ص ١٦ ، ١٧ .

^٣ - المصطلب : المطر .

كانت ترثى على العبا أخطلها
لو لم يمل أخطلها حيـاة
مثل القسا الخطـى قـوم مـلة
وجزـت عـلـيـهـ الضـةـ الـبـيـضاـ
حتـىـ إـلـاـ اـنـتـرـتـ جـالـيـبـاـ لـثـيـبـاـ
وـكـانـتـ مـنـ دـوـنـهـاـ الـظـلـمـاءـ
فـرـجـهـاـ بـصـحـالـحـ إـنـ تـعـلـلـ
أـقـيرـ مـنـ ضـرـبـ الرـكـبـ شـفـاءـ
شـعـاـ حـلـتـ عـلـيـهـ الرـمـاحـ رـماـخـهـ
فـسـوـدـفـ وـمـاـ حـلـنـ مـسـاءـ
لـفـيـ النـجـوـمـ وـقـدـ طـلـعـنـ بـمـلـهاـ
وـأـنـدـ جـنـجـ لـلـيلـ ،ـ وـهـوـ ضـحـاءـ
يـاـ سـيـةـ الـوـزـرـاءـ يـلـتـ مـنـ العـسـلاـ
وـالـمـجـدـ مـاـ يـعـيـاـ بـهـ الـوـزـرـاءـ
هـيـ لـلـهـ ،ـ لـاـ زـلـتـ تـقـبـلـ مـلـهاـ
فـيـ نـعـمـ وـصـبـتـ بـهـ الشـرـاءـ
أـهـبـتـ قـوـماـ ،ـ حـينـ هـنـ غـلـواـهاـ
عـطـلـكـ ،ـ رـبـ غـنـ خـدـاءـ غـنـاءـ
وـقطـعـهـاـ ،ـ وـلـلـلـيلـ يـسـدـغـ قـلـبـهـ
ضـدـانـ :ـ نـارـ تـسـتـيرـ وـمـاءـ
نـعـمـ الـرـيـةـ فـيـ بـقـائـكـ ،ـ فـتـدـمـ
لـهـيمـ بـطـولـ بـقـائـكـ الـعـمـاءـ

وهـكـذـاـ يـنـسـحـ لـنـاـ مـنـ كـلـ النـماـزـ السـلـيـقةـ أـنـ الشـمـعـةـ كـانـتـ تـسـتـخدمـ
لـفـوـانـدـ مـتـعـدـدـ ،ـ كـاـلـصـاهـةـ وـالـهـدـيـاـ ،ـ وـالـزـيـنةـ ،ـ وـمـعـ الـلـهـوـ وـالـضـفـ وـالـشـرابـ .

الشمعة والألغاز :

الألغاز من فنون الشعر التي استحدثت في العصر العباسي ، حيث اتسعت الثقافة ، وتنوعت مصادرها ، وارتقى العقل العربي ، وتعددت الفرق الكاذبة التي قاتلت على الجدل والآخاهي والمناظرات ، كل هذا شكل أرضاً صالحة لنشأة الألغاز ، ليس في الشعر فقط ولكن في معظم مجالات المعرفة فهذاك الغاز في التحو والإغزار^١ ، وهناك لغز في الفقه والفرائض^٢ . والشعر في النهاية مرآة لهذه الحياة المصاخبة فانتقلت الألغاز إلى الشعر حتى أصبحت هرضاً من أغراضه المحددة .

واللغز : هيئك بالشيء عن وجهه ، والألغاز بالضم : ما يُعنى به ، الجمع الألغاز ، والغز كلامه : غنى مراده^٣ . فالألغاز تدور حول عدم التصريح بالشيء مع إعطاء بعض البيانات والدلائل للمتلقي ، كي يتصرف عليه .

والشمعة كغيرها من أشياء كثيرة . كانت مصدراً لأنغاز الشعراء^٤ ولكنها بقى لها قريب الحال نظراً لما تحمله من دلالات تجسّد في النفس مثلاً حيّاً للشخصية ، فيكون لها تحرق لتضيّع للأخرين .

^١ - مثـل : توجيه ملغرة الإغزار للرماني ، والألغاز الخواوية لابن شمام .

^٢ - إنظر مقالات العزيزى ، وبيانات : الطبيبة ، المعرية ، القرصنة النسبيّة ، وغيرها من المقالات ، وملغر الأخاهي والألغاز الأنبيّة : عبد العسى كمال ، من ٦٥ ، مطبوعات نادي الطالب الأنبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٠١ .

^٣ - القاموس التجسيط ، مادة {لغز} .

^٤ - في كتاب الأخاهي والألغاز الأنبيّة ، جمع الملغر لأكثر من مائة شيء ، دارت حولهما لغز شعرية .

واللغاز التي دارت حول الشمعة لابد أنها تعتقد على أوصاف الشمعة التي ذكرناها ، بحيث إذا ذكرت هذه الأوصاف حتى ولو بطريقة مغشاة لستطاع المطلق أن يترعرع على الشمعة ، من هذه الأوصاف : اونها الأصفر ، دقتها واعتدالها ، دموعها التي تطفئها القوة ، كاسية عارية ، حياتها بقطع رأسها ،

والشاعر في العادة لا يعطي هذه السمات مرة واحدة ولكنه يدرج مع المطلق ، فكل بيت يحمل صفة لو أكثر حتى يتضمن الدال في النهاية . فالملكالي يلغز ويسأل عن جسم دقيق كالشبح ، يعجب كل من ينظر إليه ، أصفر اللون ، يبكي طوال الليل بجهن لا يعرف النوم للسار تحرق أحشاءه . يقول^١ :

ما شبح يعجب من رأء
صقره تخبر عن حسناه
ويكى بطن غالب كراه
المفعه تزيد فى قسوه
معذب الليل إلى حسناه
تلعب نار الشوق فى حشاء

لما الشاعر أبو محمد عبد الله الخشاب فللغز عن شيء أصفر اللون صقره ليست عرضاً لمرض ، لأنها لا يمرض لأن أصله فيه شفاء للناس بالإضافة إلى أنها عارية كاسية في نفس الوقت . يقول^٢ :

^١ - ديوان الملكالي ، من ٢٢٧ .
^٢ - معجم الأدباء ، ج ٢ / ٤٤٦ .

منفراة لا من سقم مثتها
كيف وكانت أنها الشافية
حرباء ، ياطها مكتسي
فأعجب لها كاسية عاربة

اما ابو الحسن بن ابي ياسن ، فيلجز عن شيء ذي منزلة لأنه لا يكون
في العادة إلا عند الملوك ومن اقرب منهم ، دقة الصلح ، زيادة نورها فيه
لقصان عمرها ، تبكي ليضحك طلام الليل ، لا تستيقظ إلا بقعن شعرها .

يقول^١ : وهفأة من نداء الملوك

ترى وفتنص من قدرها
إذا ضحك جنح داجس الظلام
يكت فجري الدمع من تحرها
فإن نصت لكرى نعمة
فليقطها الفصن من شعرها

ويأتي الولاء المشفى فيلجز عن شيء من نداء الملوك . أصغر
العاشق ، تكيد الظلام ويكتيدها ، فيقتيل سويا . يقول^٢ :

وهفأة من نداء الملو

ك صفراه كالعاشق المُدلف

تكتيد الظلام كما كادها

فلتنسى وتنذيه في موقف

^١ - بقعة الدهر ، ج ١ / ٤١٥ .

^٢ - بيان الولاء المشفى ، من ١٤٩ ، والأيات منسوية إلى كشاجم في ديوانيه ،
من ٤٦٧ .

ثم يتنمها الولاء في زى آخر فلغز عن شىء دقيق الخصر ، يظهر
في الليل كالسم المعنى ، تماقب نفسها بنفسها ، صاحتها في قطع رأسها
ومرضها في تركه صحجاً .

يقول الولاء^١ :

ومخطوفة الخصر لئا بدت
لدى الليل عائنة سهمها يضى
تعاقبها من نفسها نفسها
فتقضى الأشوز كما تقضى
وتسرطن إن تركوا رأسها
ولأن قطعوا الرأس لم تسرطن

ويعنى الشعراء بلغز فيهدا بالدموع المشاتلة والتي هي سبب القوة ،
ولا تحيا إلا بقطع رأسها . يقول^٢ :

وباكية على السجى أنسنا
يقطرر منها نامخ صقر
تحيا إذا ما رأسها قطعت
وهي بالليل لحم صقر

أما النتى الرقاوه فيلغز متلاعضاً بالأوصاف والصفات فهو يسأل عن
بلاكية ، بصيرة ، ضربرة ، إذا أردنا أن نصلحها فلابد من إفسادها يقول :

^١ - ديوان الولاء ، من ١٣٧ .

^٢ - زرقة الأبرصار في مخالن الأشعار للغابري ، من ٤٨١ .

وباكيةٌ ليلٌ ساكتٌ
تحسّاكِ المصباح بمصالحها
بصريحٍ لبسٍ ، ولكنها
ضريرته عند إصلاحها
تجزٌّ لإصلاحها رأسها
فإفسادها عند إصلاحها
وهكذا أصبحت الشمعة موتوغاً خصباً لدى الشعراء فتناولوها
بالوصف والتفقيق والتأمل ، ووصلوا بها إلى أن جعلوها لغزاً يشغل فرائج
المتألقين وبهذا يهزّ مشاعرهم أيضاً .



الفصل الثاني

الشمعة في وجدان الشعراء



لم تتوقف أهمية الشمعة على أهميتها المادية فقط ، كلّي ذكرناها في الإضاءة والتهادى والزينة والشراب وغيرها ، بل تخطت هذا إلى جانب معنوي هو الأهم عند الشعراء . فعندما تأملوها وجنوها تحيا وتحترق وتموت ، تتصفر وتذبل ومع هذا تعطى وتنفس » وكانتها جسد هي تكتب فيه الحياة .

ومن هنا وجئنا للشعراء يخلعون عليها مثاعرهم والتي عادة ما تكون مؤلمة حزينة ، إيمان بهم يغترونها عصراً معاً تشعر بما يشعرون وتحسن بما يحسون فينالها ما ينالهم أنكى وتمرّض في صمت وبدون ألم ومع هذا تظاهر في شموخ وكبرياته . إنها علاقة وطيدة كذلك التي ارتبط فيها الشعراء الرومانسيون بعناصر الطبيعة في العصر الحديث .

فإذا توقفنا مع الشعراء الذين أسلقوها مثاعرهم على الشمعة ، لوجدنا المترى الرفقاء (ت ٣٦٢) الشاعر المشهور الذي كان يزهو ويطرز ولكن مهنته من الرفو لم توفر له حياة كريمة ولا استطاع بشره أن يرتفع إلى حياة الرفق . فظل يشتكى الفقر من جهة وبشمخ بارتفاع كعبه في الشعر من ناحية أخرى ^١ يقول ملا مصطفى أقره الشديد ^٢ :

أني منزل كوجار الصتبة لزلاه
هناك ، ققارب قطراه قد ضلا
لراه قلب جسمى حين أخطبه
فما أنسى به رجلا ولا سلا
فشتت اعتناؤه رزقاً أسرّ به
وهل تُذمِّنون الناس لرزقا
لائشد الغربة أن يختاره لبدأ
ولامع البرق أن يعشاه إحرقا

^١ - النظر : معجم الأدباء ، ج ٣ / ٣٥٩ وما بعدها .

^٢ - ديوان المترى الرفقاء : من ٣٣٧ .

ويقول في قصيدة أخرى مفتخرًا بـ«شعره» مدعياً أن الغير ينكسب به -
يقصد الحالين عندما انهمها ببرقة شعر - وهو لم يحصل على شيء من
وراء هذا الشعر . يقول ^١ :

لسلم للآيات ألم لا أسلم
وأصل طقم الدهر لم نظلم
بكثت على شعر أصيب كما بكى
على مالك لئلا أصيب مُنْتَهٌ
تعزّيت عن ثقل الشراء بفضله
وما مُغْلِمًا ، لزى من الفضل مُدْعِمٌ
أهاب فيه لستى ومكاسبى
وأهجر فيه اللؤم واللسان نُورٌ
إذا ما المعانى لم يمضت لى بروقها
واسعدها ونشى الكلام المُتَضَمَّنُ
رأيت التهاب الطى في جيد هادة
ترليها من تحته هيشم
نظام من السحر الحال مُثْبِلٌ
لسايعه إن الكواكب تُنْظَمُ
تحى به كرم مسوان ، فكتنوا
وهل بلاد الشهباء الملامح لأفهم
لتففع عن حلى البلاغة مُغَرِّبٌ
ويزيل في وشى المصاحة أبغضُ

رجل هذا حاله ، فقر مادي وذكاء اجتماعي من ناحية وشموخ شعري من ناحية أخرى ، ملأ يقول هذا الرجل عندما يصف الشمعة^١ . لا بد أنه سيسكبها سمات تغير عن حالته النفسية والتي هي العكس لظرفه الاجتماعي . يقول في إحدى مقطواعاته التي يصف فيها شمعة^٢ :

وسمعة قسي بس الفلام حكت
غلق ظليم بغير متقارب
شكى ، إذا ناز شوقها اضطررت
بدمع تبر من الآسى حاري
كانها نخلة بلا منتف
تحمل أرجفة من النار

لماذا تخير المترى الرقام شمعته مماثلة عنق الظليم الذي يغير متقارب لو النخلة التي يغير متقارب^٣ ، إنه الشموخ المعنوي الذي يحسن به المترى وأراد أن يخلعه على شمعته ، لأن من يتضرر إلى عمق النعامة بالحظ كيف ترتفع في كبرباء وشم وكذلك النخلة التي تضرب جذورها في الأرض وترتفع شامخة إلى السماء ، حتى النعوم التي تسقطها هذه الشمعة ليست دموا عادي ولكنها من التبر الأصفر ، فالشموخ ليس شموخ الشمعة على الحقيقة ولكنه الشموخ الذي يحسن به المترى ويريد أن يعترف المجتمع به ، وقد ساعده واقع الشمعة

^١ - وصف المترى الرقام الشمعة أكثر من سبع مرات ، انظر الديوان المصادرات ، ١٦ ،

٤٥٩ ، ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٢٢٨ ، ٦٧ ، ١٧

^٢ - الديوان ، من ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والظليم نكر النعامة .

على ذلك . يقول أحد الدارسين محلاً هذه الصورة : " وقد أضفى الشاعر من خلال دلالات "الشراق" : "نار" ، "اضطربت" ، "نير" ، "أثرجة" مناخ إصاغة وتوهج يتناسب مع ولع الشمعة المضيء .

ويشار إلى "الظليم" ، وهو : "الذكر من التحسام" ، وإلى الخلة في تتبّيه "الشمعة" بينما إيماء بحالة الشموع "إحساساً يتسلل في أصانع الشاعر وي penetri تتحققه وسط مناخ من "الإيجاط" و "الدونية" نتيجة للفقر ، وبائي ذكر "الأثرجة" التي تطوي "الخلة" تأكيداً على عامل "الإصاغة" لهذا الشووخ الذي يأخذ بعده النفس من إحسان الشاعر "بخمول" الذكر ، وخمول الواقع الاجتماعي والقى إحساساً محبطاً .

ولنشر هذا حال الترى حتى بعد أن خرج إلى طلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته فاشتهر وبعد صيته ، ولما مات سيف الدولة لقلل المترى إلى يدك و مدح الوزير المهنئ وغيره من الأعيان والصدر فارتفق ولترق ، وخفت حالة ومار شعره في الآفاق " . إلا أنه يقى لم يبر مهنته وعداؤه الخالدين له مع مكانتهما ، وجود الشعراة الكبير اشتغل العذبي . ولذلك وجنهاء وستغل الشمعة فيخلع عليها ما يمتناه من شموخ .

ويأتي محمد بن هاني الأندلسى (ت ٣٦٢هـ) والذي كانت منزلته عند المقاربة كمنزلة العتالى عند المشارقة " نال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه ويزر في الشعر قلم يباره في حلبة مبارى ، ولم يتقن غنائمه لاحقاً "

^١ - شعراً من العصر العباسى الثاني : د. عبد الله أحمد بن قازى ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٠٨

٤٠٩ - ١٩٨٨م .

^٢ - مجمع الأنبياء ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .

وهو الذي أسف على موته المعز الدين الله أسلنا عظيمها وقال هذا الذي كنا
نرجو أن ننافر به شعراً المشرق فلم يفت لنا ذلك^١
وبرغم هذا الفضل إلا أنه كان متهماً بالفسقة يسئل في أقواله وأشعاره
متلك المعرفي فاز عجم أهل الآشين واضطربوا إلى الخروج من وطنه ...
فخرج متقللاً في البلاد فلي (غداة) المغرب ومنها إلى الديار المصرية ،
ويحاول أن يعود إلى بلده إثيلية مرة أخرى ، فلما بلغ (بركه) وهو في
طريق عودته يجدونه مخلوقاً ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله^٢

رجل هذا قضله لم يستوعبه مكانه وزمانه فخرج هائماً على وجهه بين
البلدان ذاركاً وطنه وتاركاً أهله وعاليه في هذا الوطن عيشة مضطربة حزينة .

ولهذا وجنته يتجه إلى الشمعة يحاول أن يعاد مشاهدتها وبينها وبينه يقول^٣ :

لقد أتبهتني شمعة في صباي

وفي هول ما لقي وما لوقع

تحول وحزن في قياء ووحدة

وشهيداً عن اصفرار ولنسخ

فالشاعر عاش بين حاليين يتصارعان في نفسه : حالة الشوق إلى أهله
ووطنه وحاله وحالة الخوف من هول ما ينتظره من موت محقق . فالحالة
الأولى حالة شوق قد يقتله الشوق عطاء ، والحالة الثانية مصير القتل الذي
يتنتظره والقتل فناء ، وما بين العطاء والفناء ترتابه عوارض تلاقى من وحدة
وحزن وأصفرار وتحول .

^١ - نفسه ، جـ ٥ ، من ٤٧٨ وما بعدها .

^٢ - معجم الأدباء ، جـ ٥ ، ٤٦٩ .

^٣ - نفسه ، جـ ٥ ، من ٤٧٥ .

والشاعر قبل ازد ان يعطي ، فاللمسة عطاء ، ولكن عطاءه تحطم على اعتاب مجتمعه الذي لم يكن مؤهلاً لذاق هذا العطاء ، فطرد وهدد بالقتل ، بل تسبوا في قتل عمه ، ليس في اتجاهه إلى السكر تحت المسطد النفسي قتل للعقل ؟ لقد قيل : «فَلَمَّا بَلَغَ بِرْتَهُ نَرْلَ عَلَى أَحَدِ أَعْيَانِهَا لِلرَّاحَةِ فَأَسْفَاقَهُ أَيْمَانَهُ خَرْجَ لَيْلَةَ سَكَرَانَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ وَجْدَهُ مَلْقُسٌ فِي سَائِيَّةِ مِنْ سَوْاَنِي الْبَدْرِ مَخْلُوقًا بِنَكَّةِ سَرْأَوْلَهِ » .

إنه كالشمعة تماماً ، عطاء يودي إلى لفقاء الحني ، ويرغم أن هذه سمات الشمعة إلا أنه قلب التشبيه فروتك أن الشمعة تشبيه وكان مصدره محمد ومكتوب ومتوقع من البداية . ولكن قبل المصير لا بد من السرور بمراحل مشتركة فالشمعة لا بد أن تحنن وتصغر وتتحل وتشهر الليل ، وهو كان كذلك ، إن المساعات التي يقضيها الإنسان في انتظار مصدره المحتوم هو شيء ثالث من الموت نفسه ، لأنها لحظات يعيش فيها الإنسان الموت بأحساسه ومشاعره لما الموت في حد ذاته فهو يقضى على كل هذه الأحساس ، ومن هنا كانت الشمعة هي التي تشبيه لأنها اعادت هذا المصدر الذي يأتي بدون لحظات خوف وقلق أما هو فيعيش الموت قبل الموت . ولكنه في النهاية كان شمعة وسيظل شمعة ربما تختفي في زمان ومكان مختلفين .

٦٦٦

لما ابن الأباري أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب (ت ٣٦٧هـ) ظله مع الشمعة شأن آخر ، يتضح بعد أن نعرف أن ابن الأباري هذا قال قصيدة في رثاء الوزير ابن يقنة الذي قتله عضد الدولة حيث طرجه أيام القيمة

لقطة ثم صلب عند داره بباب الطلاق . هذه القصيدة لم يسمع في مصلوب
لفضل منها ، حتى عندما وصل خبرها إلى عضد الدولة ، وأشتدت بين بيته
فهنيء أن يكون هو المصلوب ذوره ، يقول منها ^١

علو في الحياة وقى الموت
لحق لست بحدي المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا
وفود ندادك أيام العذابات
كانك قاتل قريرهم خطيباً
وكاهضم قربان للصلوة
مدحت بيده نحرورهم احتفاء
كمدحها إلزفهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن
يضم عليك من بعد الموت
لصاروا الجو قبرك واستلبوها
عن الأفغان شوب المسافرات

برئيه ابن الأثيباري متحججاً مشاعر خوفه من عضد الدولة متصرفاً
على نفسه ، متصرراً لميائته ويفر عن عضد الدولة ، ولكن قصولة الرواية
لا بد أن تتم حيث يمثل ابن الأثيباري أيام عضد الدولة بعد أن أعطاء الأمان -
وبسؤاله عضد الدولة : ما الذي جعلك على مرتبة عدوى ؟ فقل : حفوف

^١ - نكت الهجان في نكت العيون : لصلاح الدين الصنفي ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، المطبعة
الجمالية في مصر ١٩١١م ، وانظر وفيات الأعيان ، ج ٥ / ١٢٠ ، ١٢١ .

سلفت، وألما مضت ، فجاش الحزن في قلب فربت ، فقال : هل يحضرك شيء في الشموع ؟ والشمعة تزهير بين يديه " ، إنها لحظة حاسمة في حياة ابن الأباري ، إنه ما زال في موضع المساعدة ، وما زال عصداً للدولة لم يتخذ قراراً بشانه ، إن الشمعة ربما هي التي ستحدد مصيره إنه لا يريده أن يصفها بالشمع والأسفافر والتحول والبقاء حتى لا يربط مصيره بهذه الصفات ، فلابد أن يبحث لها عن صفات أخرى تعطي له الأمل في الحياة ، وسرعان ما تسعفه قريحة فيقول :

كلن الشموع وقد ظهرت
من الدار في كل ركن سنانا
أصبح أمد الله الخالقين
تضسرع تطلب منك الأمان

لقد ترك ابن الأباري جميع صفات الشمعة المعروفة ، ونظر إلى شعلتها التي تهتز ببطء ، فأخذ هذه الشعلات المهززة وشتبه بها الأصباب الخالقة التي تهتز وتضسرع وتطلب الأمان ، إن هذه الصورة الجديدة للشمعة حددت الطريق أمام قرار الأمير ، إذ ليس أمامه إلا أن يصدر قرار على ، ويكملا ابن خلخان : فلما سمعها - أى الأمير عصداً للدولة - خلع عليه ، وأعطيه فرساً وبدره * .

إن ابن الأباري قد خلع مشاعره المروعة على الشمعة فاهتزت لاهتزازه واهتز معها قلب عصداً للدولة .

* - وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

وعل تطبيق الدكتور عبد الله يلزارى لهذه الصورة يزيدتها تعظيمه
وجمالا . يقول^١ : " ولعلنا ونحن نستحضر مشاهد المأساة المرورعة ، ونصلو
قرار ابن الأثيرى وعودته ، ووفاته لابن بقية ، لا نعدم الإشارة إلى ذكاء ابن
الأثيرى ومحاولته الذكية الناجحة فى استغلال اللحظة ، حيث طلب إليه عضد
الدولة أن يقول شيئاً فى الشموع " وهى تزهر بين يديه " فادرى ابن الأثيرى
يستغل " اللحظة " لصالحة بنكاء واضح حتى يهدى لرضا عضد الدولة عنه .

كل الشموع وقد ظهرت
من النار فى كل رأس سنانا

تعنى " الشموع " فى البيت طريق " الأمل " للشاعر المهدى من قبل
عضد الدولة وهو يواجهه وبخشى على مصيره ، وفي وسط عنده " اللحظة "
التي يعيشها ذاتى الشموع هنا " ومبين أمل " يلهث داخل عنمة اللحظة التي
يعيشها الشاعر .

أما فى البيت الثاني :

أصابع أعدائك الخائفون
تضرع تطلب منه الأمان

فإن كلمة " أصابع " وقد ثابتت حالة الشموع الدالة على الأمل المنجى
للشاعر الخائف فإن الأصابع لتنفذ بالإضافة إلى ذلك وضعها البشرى ضمن
تكوين اليد التى تهدى طالبة الصفع والغران من قبل الشاعر إلى عضد الدولة ،
وتختصر كلمة " الشموع " و " الأصابع " فى رسم عالم النجا و العطاو من

^١ - شعراً من المسر العاجسى الثانى ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

خلال "الإضافة" الدالة على الأدلّة التي تطرحها كلمة "الشروع" "دلالة" مطلب الصفح "التي تطرحها الأصوات" ، إضافة إلى أن الأصوات تهتم في التعبير عن حالة الطقوس بتشكيلها الشري وكتلتها "يد" تهدى مصالحة ورائحة للسلام والودة ومد صفة جديدة من الوئام والسلام" .

وهكذا نجد أن شعراً ابن الأبياتي والتي جعلها شموعاً ليكتب من الأصوات المتضمرة - أعطته أكثر من الفخر ، أعطته : الطقوس وخلال وفرساً ويندرة .

ولكن هل أخذ ابن الأبياتي الطقوس وصنميتها بعدها ؟ لم يحدث هذا . يقول ابن خلكان : " ولم يزل ابن برقية مصليوباً إلى أن توفي عضد الدولة - فنزل من الخشبة ، ودفن في موشه ، فقال أبو الحسن ابن الأبياتي :

لم يتحققوا بذلك عاراً إذ صنعت بلسي
بأعوازٍ بإيمانكم ثم استرجعوا شدما
وأيقنوا أنهم في فطحهم غلطوا
ولأنهم تصيروا من سود علما
فاسترجعواكم ووارروا طسود علا
يدفعه دفعوا الأفضل والكرما
لئن بليت قيلاً بيلسي نداك ولا
ينسى ، وكم هالك ينسى لذا عندما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما
ما زال مالك بين الناس منقساً

^١ - وفيات الأبيات : ج ٥ ، ص ١٢١ .

وهكذا نجد أن شمعة ابن الأباري لم تنتسب في حق رقيبه فقط ، بل جعلت ذكره مضيئة في كتب التاريخ لتأثر على رجل كان أحقر ما يمكن على العبادى ، وكان مثلاً حياً للوفاء ، في عصر غاضب فيه الوفاء وانعدم الأوفاء ، ألم يكن أحد الدول في بغداد كما قال الصقفى^١ :

* * *

ويائى البيعاء أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى (ت ٣٩٨) ،
ليجعل من الشمعة رمزاً للموت واللى ، لتتفق على تلك من حياته لنعرف
لماذا نظر إلى الشمعة هذه النظرة ؟
البياع شاعر من شعراء سيف الدولة حيث مكث في بلاطه مدة طويلة
ترى عن عشرين عاماً . يقول العالى : " وكان فى عنوان أسره وريحان
شايشه متصلة سيف الدولة مقيماً في جملته ، ثم تقللت به بعد وفاة صاحبه
الأحوال فى وروده الموصل وبغداد ومذاعته بهما الملك والرؤساء ، وإخلاله
مرة وإيجاده أخرى " . ظل لازم الشاعر الأثير الحمداني طوال حكمه ،
ولعم بصلة العصبة ، وعطيه الجزلة ، فقيل حاله من قفر إيسى غنى ،
ومن ضيق يد إلى سعة فى العيش وخفق فى الحياة ، ولو لا علمه وأدبه
وشعره ما وصل إلى هذه المنزلة فى بلاط سيف الدولة . يقول العالى عليه :
" نجم الألقاب وشمامنة الشام والعراق ، وظرف الطرف ، وينبوع اللطف ،
واحد أفراد الدهر فى النظم والنشر . له كلام بلا مدار ، بل نظام من الباقوت ،
يل حب الغلام " .

^١ - نكت الهميان ، من ٢٧٢ .

^٢ - بقمة الدهر للعالى ، جـ ١ / ٢٣٦ .

^٣ - نفن الصحفة .

ولكن الحياة لا تدور على وتره واحدة فسرعان ما يموت سيف الدولة
سنة ٣٥٦ فتنقلب الحياة على البيهاء فينتقل من بلاط إلى آخر ثم ينسري
بعيداً عن الحياة في آخر حياته يقول تعالى^١ "وَأَخْرُ ما يَلْغَى مِنْ خَيْرِهِ
مَا سَعَتِ الْأَمْرَ إِبْلِ الْفَضْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمِكَالِيِّ يُورَدُهُ مِنْ ذِكْرِ النَّقَالِهِ
مَعَهُ عَذْنَ صَدْرِهِ مِنَ الْجَعْ وَحَصْوَلِهِ فِي بَغْدَادِ فِي سَنَةِ ٤٣٩هـ ، وَرَوَيْتُهُ بِهَا
شِيَخَانِ عَلَيِّ الْمَنِ ، مَظَاهِرَ الْأَمْرِ ، نَظِيفَ الْلِّسَةِ ، بِهِ الرِّكْبَةُ ، مَلِحُ الْلِّغَةِ
ظَرِيفُ الْجَمَلَةِ ، قَدْ أَخْذَتِ الْأَيَامُ مِنْ جَسْهُ وَقُوَّتْهُ وَلَمْ تَأْخُذْ مِنْ نَظْرِهِ وَأَنْبَهَ
... وَلَمْتُ أَنْرِيَ مَا فَعَلَ الْدَّهْرَ بِهِ^٢ .
ولكن يبدو أن الشاعر قد ساخت حالي في أواخر حياته ، وهو يتسرّم
من أيام زمانه ، ويشكو من سوء طباعهم فيقول^٣ :

أَكْلُ وَمُسِيَّضُ بَارِقَةَ كَذَوْبَأْ
أَمَا فِي الْدَّهْرِ شَيْءٌ لَا يَرِيبُ
شَابِهِتُ الْطَّبَاعَ فَلَا دَنِيَّ
يَحْسُنُ إِلَى الشَّاءِ وَلَا حَسِيبٌ
وَشَاعَ الْبَخْلُ فِي الْأَشْيَاءِ حَتَّى
يَكُادُ يَشْحَنُ بِسَالِرِيَّ الْبَسُوبَأْ
وَكَيْفَ أَخْسُّ بِاسْمِ الْعَيْبِ شَيْنَا
وَأَكْثَرُ مَا تَشَاهِدُهُ مَعِيشَأْ

^١ - بِيَتِيَةُ الْدَّهْرِ جِهَةُ اِلٰيَّ ، صِفَاتُهُ ٢٢٧ ، ٢٢٦ .

^٢ - شعر البيهاء : دراسة وتحقيق د. سعید محمد عبد الجابر ، المقدمة ، ص ١٦ ،
ص ٤٥ ، موسسة الشرق للتراث العلامة - عمان ، الأردن ، الطبعة
الأولى ١٩٨٣ م .

وأصاب الشاعر الفقر وعنه الدهر ، لشأن إلى ذلك بوضوح خلال مدحه لمعبد الجيوش الحسن بن أبي جعفر الذي استنابه بهاء الدولة بن عضد^١ الدولة على العراق فقدمها سنة ٣٩٦ ، فاستعادت به الشاعر وقال :

سافت زمانی بمن استنیت
فقال استنیت بمعبد الجيوش
فناذبست مالی بـ هرمـة
فجاـلـوبـ حـوشـیـتـ منـ ذـاـ وـحـوشـیـ
رجـلـوكـ اـیـاهـ پـسـدـلـیـکـ مـنـهـ
ولـوـ كـنـتـ بالـصـصـینـ اوـ بالـعـرـیـشـ
نـیـتـ بـسـیـ دـلـیـ وـفـرـ الغـیرـ
ـاـ وـأـوـدـتـ تـبـلـیـ وـبـعـثـ فـروـشـیـ
وـكـنـتـ أـقـبـ بـالـبـیـانـ
قـبـیـاـ قـدـ مـرـقـ لـدـهـ رـیـشـ
وـکـانـ غـذـائـیـ نـقـیـ الـأـرـزـ
فـهـاـ لـاـ مـقـتـعـ بـالـحـشـیـشـ

رجل هذا حاله تغيرت عليه أحوال وأحوال فمن بدجوعة في العيش في
الشباب إلى هفر وضنك وضيق في الشيخ ، وهل يقاوم الفقر جسم وأهان
الصحابي عليه من السنوات الكثير . إن الموت هو الراحة للتنفسه وللسر من
خلاله الأشياء . وهذا تبرز شمعة البيضاء متلونة بكل ألوان الموت والفناء

^١ - شعر البيهقي ، من ١٧ ، من ١١١ .

يصفها البيقاء لا يلشنها بمشاعره وأحساسه ولكنه يصفها من زاوية مختلفة .
يقول :

وصفر كأطارات العوالى قدوتها
فيم على أعلى كراسي من الصنف
تلمسن من شمس الأصول غالباً
فأشرق في الظلماء بالخلع الصنف
عرابين يحلوها التجى لمعانها
وتحيا إذا نزرت دموعاً من التأثر
إذا ضربت أعلاها في رضا التجى
أعزته من أبوارها خلع الفجر
تبكي على أحشانها بجسمها
ذالمتها أجسامها أبداً تجري
علها منياء عامل فني حيانها
كما تحمل الأيام في قصر المُثمر

ويعلق الدكتور باقازى على هذه اللوحة فيقول :^١ والشمعة هنا
تحسد "لل نهاية والتلألق السريع ، ومخاتير عالم الحياة ، وهو الشعور الذي ما
فتن يسيطر على مشاعر الشاعر .. إن اللون الأصفر الذي سيطر على
محركات المقطوعة الشعرية يعمق من الإحساس بهذه النهاية " وصفر كأطارات
العوالى " ، " على أعلى كراسي من الصنف " ، " بالخلع الصنف " كما أن

١ - شعر البيقاء ، من ١٠٠ .

٢ - شراء من العصر العلائى الثانى ، من ٥٠ ، ٤٩ .

دلالات " الموت " التي ظهرت في المقطوعة تأكيد آخر على الإحسان بهذه النهاية .. يحولها النجي لماتها ، " إذا ضربت أعنقتها في رضا النجي " كما أن لفظة " نجي " ، و " الأصيل " تعمق من الإحسان بالنهاية في المقطوعة من ملال : " يحولها النجي " ، " شمس الأصيل " . كما أن قافية المقطوعة " الراية " المكسورة الموجبة بالاضطراب والانكسار المفضي إلى النهاية إيجاد بالإحسان بالنهاية ، إن البيهاء خلخ على الشمعة أغراض النهايات ، فالشمعة بداية إثر إلقها هي نفسها بداية غزوتها . هي عروس ولكنها دامعة ، هي التي تضيء وتجعل من الليل فجراً ، ولكن بضرر العنق ، إن ضياعها يجعل بحياتها ، كما تعمل الأيام في فقر العمر ، وقد عاش البناء الكبير ، ثُرثَر وأضاء ، ولكنه يكى ليضأ ، سنتهك الأيام من حياته الكثير ولم يدرك من عمره إلا باقي من عمر الشمعة ، إنه أصبح على مشارف النهايات إيه شمعة ، سيفنى حسناً ، حتى ولو عاش فترة من حياته على كرسي من الصفر . مثل الشمعة التي وصفها .

لما أتى العلاء المعري أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَيْمَانَ (ت ٤٤٩ هـ) ، فيجعل من نفسه شمعة لا في أنها تضيء للأ الآخرين ، ولكن لأنها مثال على التجدد والصبر إليها رمز الفتوة والتحمّل ، وهل هناك أقوى من محترق يقف مصلوب العود مرفوع الجبين ، فالشمعة لا تعرف المفروط ، فهي عادة طاقة على الثبات والاعتدال برغم أنها في طريقها إلى الاحتضار ، إنها رمز العزة والشموخ وهل كان أبو العلاء إلا عزيز النفس شامخاً . ألم يدفعه شعوره ورضاه بقدرة إلى القول " لَا أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْعِزِّيْزِ عَلَى الْبَصَرِ " .

^١ - معجم الأئمة ، ج ١ ، ٤١٠ .

مواقفه مع الإحسان بالذات والتحدى كثيرة " رجل إلى بغداد ليبحث عن العلم والعلماء " ، وقد أبا الحسن على بن عيسى الرئيسي النحوى ليقرأ عليه لما دخل عليه قال : لم يصعد الأسطبل (والإسطبل) في لمة أهل الشام ، الأعمى) ، فخرج مفضياً ولم يد إليه ^١ ، لذر رفعت أن يتعلم على يد إنسان لا يحترم الإنسان .

ودخل على المرتضى أبي القاسم ، فعثر برجل ، فقال من هذا الكتاب ، فقال أبو العلاء : الكتاب من لا يعرف الكتاب سبعين اسماً فقربه المرتضى ولناده وأخierre ، فوجده عالماً متهماً بالخطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً . وكان المعري يتهم به لأبي الطيب كثيراً ويصلبه على شمار وأبي نواس وأبي تمام ، والمرتضى يبغضه ويتعصب عليه فجراً يوماً ذكره فانتقم منه المرتضى وجمل ينتفع عنيه ، فقال المعري : لو لم يكن العذاب من التمر إلأ قوله : لك يا مدارل في القلوب مدارل

لكتابه فضلاً وشرفاً ، فلخص المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته : إنكرتون أي شيء أراد الأعمى بذلك هذه الصديقة ، فإن لأبي الطيب ما هو أجدون منها ولم يذكرها ، فقال السيد التقي :

أعرف ، فقال أزد قوله :

وإذا لتك مسدتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأنني كامل ^٢

^١ - نكت الهموان ، من ١٠٣ .

^٢ - نفسه .

لرلنا جرأة أبي العلاء في قول الحق حتى في وجه من لدنك وأكرمه ،
إنه جاحد بالحق مع عليه بحقيقة أهل متوقعة . إنه شموخ المبادى وارتفاع
النفس . ويعود أبو العلاء إلى معركته مرة أخرى لم يعيش رهين محبسها :
المنزل ، والمعى ولكن يلزمته . وبعد أن تزود بكتاب كانت موقوفة بطرابلس ،
وبعد أن سمع في الفلسفة من راهب يدبر في اللاذقية ^١ .

قال احتياجات من الدنيا فزاد شموخه فيها ، لم يربط حياته بأسباب
بشر فعاش بفقره فوق البشر حتى " إن المستنصر صاحب مصر يسئل لأبي
العلاء المعرى ما بيت المال بالمعرة من الحال ظلم يقبل منه شيئا ، وقال :
لا أطلب الأرزاق والمولى يفرض على رزقني
إن أخذت بعض الثروت أعلم أن ذلك فوق مقى ^٢ .

إن أبي العلاء يستكثر على نفسه من القوت أقل القليل حتى يوفر لنفسه
من العزة والكرامة والمجد الكبار . فحقق معاناة التفرق على عصره فجده
جهال عصره واتهمه بالازدواج والإلحاد . يقول الصندي : " وكان يرمي من
أهل الحمد له بالتطبيل ويحمل ثالثته وغيرهم على سلامة الاشجار يضمونها
أفاوبل الملحة قدسا لهاك ، وإيهاراً لإثلاف نفسه ^٣ كان يحزن لأفعالهم ،
ولكنه لم يتوقف عن العطاء ، أصر على مقومات التفوق فلاني بالعجب
العجب ، بالجديد في كل شيء في الفكر والفلسفة ، في التسوع والنشر جاء
 بشيء لم يألهه عصره ، فصنع ما يشبه الصدمة في هذا العصر ، لقد كان

^١ - نكت الهميان ، ص ١٠٣ .

^٢ - نفسه ، ص ١٠٥ .

^٣ - نفسه .

متجاوزاً زمانه بمسالك طويلة فاختطف عليه أهل زمانه ، يقول ساقوت :
” والناس في ألسن العلاء مختلفون ، فمنهم من يقول كان زنديقاً ، ومنهم من
يقول : كان زاهداً عابداً متنقلاً ، وأخذ نفسه بالرثابة ، والمشوّكة ، والتلاعنة
باليسير ، والإعراض عن أعراض الدنيا ” . ويعيش أبو العلاء فوق
الطرفين كنجم متافق ، يضيئ الآخرين مع أنه لا يرى . حتى بعد أن سمع
أعداؤه في قلبه وهلاكه لزداد شموخه بذاته المطلقة في الله .

وللتتابع هذا التبر الذي قد يصل إلى حد الخيال ، ” وَدَ وَشِي وَزِيزِر
مُحَمَّدُ بْنُ صَالَحٍ صَاحِبِ حَلَبِ إِلَيْهِ ، بَلَى الْمَعْرِي زَنْدِيقٌ لَا يَرَى إِلَصَادِ
الصُّورِ ، وَيَرَى عِنْ الرِّسَالَةِ تَحْصِيلَ بَصَارَةِ الْعُقْلِ ، فَأَمَرَ مُحَمَّدَ بِحَمْلِهِ إِلَيْهِ
وَيَعْتَثِرُ خَمْسِينَ فَارِسًا لِيَجْمَلُوهُ ، فَأَنْزَلَهُمُ أَبُو الْعَلَاءَ دَارَ الضَّيَافَةِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
عَمَّهُ مُسْلِمُ بْنُ سَلَيْمَانَ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، قَدْ نَزَّلْتَ بِهَا هَذِهِ الْحَادِثَةَ ، الْمَلَكُ
مُحَمَّدُ بْنُ بَطْلَيكَ ، قَدْ مَدَنَكَ عَمْزَنَا ، وَإِنَّ أَسْلَمَنَا كَانَ عَارِياً عَلَيْنَا عَنْ ذَوِي
النَّسَمَ ، وَبِرَكَ تَوْحِيدَ النَّلْدُ وَالْعَلَزُ . فَقَالَ : هَوْنَ عَلَيْكَ يَا عَمَّ لَا يَلِسْ عَلَيْنَا ،
فَلَمَّا سَلَطَنَ يَدُهُ عَلَيْنَا ، ثُمَّ قَامَ فَأَخْتَلَ وَصَلَى إِلَى نَصْفِ الْلَّيْلِ . ثُمَّ قَالَ
لِغَلَامِهِ لِنَظَرِهِ إِلَى الْمَرْبِعِ أَنَّهُ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ مِنْزَلَةِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ زَنْدِ
وَاضْرَبَ بِحَمْلِهِ وَكَذَا وَشَدَّ فِي رِجْلِي خَيْطًا وَارْبَطَهُ إِلَى الْوَدَ ، فَقُطِّعَ غَلَامُهُ ذَلِكَ
قَسْمَهُ وَهُوَ يَقُولُ : ” يَا قَدِيمَ الْأَرْضِ ، يَا عَلَةَ الْعَلَلِ ، يَا سَائِعَ الْمَخْلوقَاتِ ،
وَمُوْجَدَ الْمَوْجَدَاتِ ، لَا قَيْ عَزَّلَكَ الَّذِي لَا يَرَامُ ، وَكَنْكَلَكَ الَّذِي لَا يَضْسَامُ ،
الضَّيْوفُ الضَّيْوفُ ، الْوَزِيرُ الْوَزِيرُ . ثُمَّ نَكَرَ كَلَامَاتُ لَا تَنْهَمُ . وَإِذَا بَهْرَةُ
عَظِيمَةٌ ، فَسَلَّ عَنْهَا : فَقِيلَ : وَقَعَتِ الدَّارُ عَلَى الضَّيْوفِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا فَقَتَلُوكُ

الخمسين ، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناب ملائكة لا ترجموا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير^١ .

إن صبح الخير فيه من المجرى ثقة مطلقة في الله تزيده عزة وشموخاً وإن كان الخير من نسج الخيال فحسب المجرى ثراه الذي تركه يزداد به تألقاً وجمالاً .

أما عن التهم الموجهة لدينه فيكتفي أن نسمعه يقول :

أقيم خمس وصوم اللذور ألمته
وأنتمن الذكر ليكراً بأصاله
عبدن انظر في عامي إذا حضرنا
عيد الأضاحي يقو عبد شوال
إذا تلاقيت الجهال فسي حلل
رأيتي وخمسونقطن مسردالي
لا أكل الحيوان اللذور ملائكة
أخاف من سوء أعمالى وأعمالى
وأعبد الله لا أرجو مثيلته
لكن تعنت إكرام وإجلال
أشون ديني عن جندي لأولمه
إلا تعبد لفسم بأعمال

^١ - نكت الهمدان ، من ١٠٨ ، ١٠٧ .

^٢ - نفسه ، من ١٠٩ .

فهلاً بعد ذلك أن نرى فيه رأى الباحرزي حينما قال : « ولكن ربما
رشح بالإلحاد إلاؤه ، وعندنا خير بصره ، والله العالم بيصرره والمطلع على
سريرته » .^١

ويكفي هنا في هذا الموضع أنه عاش قوياً شامخاً لا تلين عريكته
رجل هذه صفاتة ، كيف ينظر إلى الشمعة ؟ ويل ولماذا نظر إليها أصلحاً ؟ مع
أنه ليس في حاجة إلى إيمانها . مع أن هذه الإضاعة هي التي دفعت الشعراء
إلى تأملها . إنه أعمى ، والأعمى لا يحتاج للضوء إلا كي يراه الآخرون من
خلاله ولا يرى هو الآخرين .

ولكن المعنى من خلال حاسة السمع وجهاية اللسان استطاع أن يكون
للشمعة في مخيلته مثالاً للقوة والشموخ والتحدي ، كما أنها مثال للعطاء أيضاً .
وهل المعنى إلا بين هذا وذلك . يقول المعنى في الشمعة بما فيها سمات
التحمل والشموخ^٢ :

وصفاء مثلى فى هواهـا جليـدة
على نوب الأليم والعـيشة الضـنكـ
ترىـك ابـشـاماً دـالـماً وـتـهـنـلاـ
وـصـيـراـ علىـ ماـ نـلـبـهاـ وهـىـ فـىـ الـهـنـكـ
فـلـوـ نـظـفـتـ يومـاً لـفـالـلـتـ اـنـظـنـكـ
خـالـلـونـ فـىـ مـنـ حـارـ الرـدـ لـكـسـ
فـلـاـ تـجـبـواـ مـنـ ضـحـكـهاـ وـلـبـسـامـهاـ
فـقـدـ تـدـمـعـ الـأـحـقـانـ مـنـ كـلـةـ الضـحـكـ

^١ - الجمل يعني الرشد (القاموس) .
^٢ - ثانية النصر : لأبي الحسن الباهري - تحقيق د. سامي مكي الملاوي - جـ ١ / صـ ١٢٨ .
^٣ - ثانية النصر ، جـ ١ ، صـ ٦٣١ .

والمعرى عندما يبدأ مقطوعه بالحديث عن اللون الأصفر ، فهو لا يقصد اللون ، ولكنه يقصد الدلالات التي يسند إليها هذا اللون من سهر ومسهد وضنى ، "فالملوك لا يتصور من الألوان شيئاً - إلا إذا كُفَتْ بعد من الإدراك والتفير - إذا فإن تشيء المكوف باستثناء الألوان هو تلقيد ومحاكاة" ^١ ، والمعرى نفسه قد اعترف بذلك ، فقد نكر مورخسو قوله : "لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأنني أبصـرت في الجدرى ثوبـاً مصبوـعاً بالعـصـفـرـ لا أـعـقـلـ غـيـرـ ذـكـرـ ، وكلـ ماـ آذـكـرـ مـنـ الـأـلوـانـ ، إـنـماـ هـوـ تـلـقـيـدـ الغـيـرـ واستـعـارـةـ منه" ^٢ . فالمعرى نكر اللون الأصفر لوازمه التي رسخت في ذهنه سعياً عن هذا اللون .

والمعرى حينما أسقط حاته على الشمعة دار حول ثلاثة مجالات متصلة : المجال الأول يتمثل في المصائب والمصاعب التي تقابلها في حياته والتي غير عنها بـ "ثوب الأيام ، العيشة البشك ، الهالك الردي" ، وهذا المجال يقابلها في الشمعة الاختراق ، المجال الثاني يمثل في الأعراض المتزوجة على ما يسميه المجال الأول ، وقد غير عنها المعرى بالعبارات : "صفراء" ، "أليكي" ، "ندمع الأيقان" وهذا المجال يمثل عند المعرى ، المصهد والمضنى والمسهر ، يقابلها في الشمعة تربان الجسم وأصفراره نتيجة الاشتغال .

^١ - شعر الملوك في مصر العابسي : د. عدنان عبد العلي ، من ٢٢٥ - دار المسامة للنشر والتوزيع - عمان -الأردن - ١٩٩٩ .
^٢ - أيام الرواية : للقطني ، تحقيق : محمد أبو الفتح إبراهيم ، جـ ١ / ٤٩ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨١ .

المجال الثالث يمثل في آثر المجالين السابقيين على الشاعر والشمعة وعبر عنه المعرى بالعبارات : " جلدة " ، " وصيراً " ، " اقساماً " ، " كثرة الضحك " وكلها عبارات توحى بالتجاذب والقرف والخطاء والشمعة عند المعرى وعند الشمعة .

فالشمعة كانت تتجلد وتصير وتعطى ، لأن طريقها مرسوم ، فلها دوره حياة لا تتغير والتي تنتهي بتصير محظوظ ، فلا جسدوى من التململ والضفت ، وأبو العلاء يومن يقسى المصير المحظوظ ، يقول في بعض أبياته ساخرأً من يضحك متسلكاً بالحياة :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحق لكان السبيطة أن يبكوا
نُخْطَلْتَا إِلَيْسَمْ حَتَّى كَانَا
زَجَاجَ وَلَكَنْ لَا يَعْدَ لَهُ سَبَكَ

هذا الاعتراك بالتصير المحظوظ ربما دفع أبو العلاء إلى التوليفة يقول في كتاب من تصانيفه أهداه :

قِبَوْلَ الْهَدِيلِيَا سَنَنَةً مُسْتَهْمَةً
إِذَا هِيَ لَمْ شَلَّكَ طَرِيقَ تَحَاسِي
وَمَا أَلَا إِلَّا قَطَرَهُ مِنْ سَحَابَةٍ
وَلَوْ أَنِّي مَسْتَفْتَ لَفَّ كَتَبَ

١ - معجم الأذية ، جـ ١ / ٤٠٨ ، ومعاد التصريح للعباسي ، ١٤٠ / ١ .

٢ - معاد التصريح ، جـ ١ / ١٤٢ .

والشمعة ليضا وصفها بالتواضع ، ثم يقل : ”ترىك ليتساماً دالما
وتهلاً“ .

وإذا كان ليتساما الشمعة وكثرة ضنكها يتمثل في العطاء الذي تزدده ،
وهو في الأسلس الإضاعة ، وليس ليتساماً لغير العلاه وضنكه على الحقيقة
ل ايضا ، فهو قد رفض كلية الضنك قبل ذلك ، ولكنه يتمثل في عطائه أيضا
 واستمراره في هذا العطاء ، برغم ما يقابلة من مصائب ومصاعب ، وببرغم
العيادة الضنك التي تخترها ، وببرغم التحريرين المستمر على هلاكه وفاته ،
فاستمر يعطي ويعطي ، والعلاء هو قمة الضنك والإضاع ، وعندما ”تخل
عليه القاضي العذاري ، فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه . قال :
”مالى وللناس وقد تركت ندياهم“ .^١
لقد آثر أبو العلاء أن يكون شمعة محظية على طريق البشرية الممتد .^٢

و يأتي ابن ماكولا ، أبو نصر على بن هبة الله (ت ٤٨٥) ، ليوظف
الشمعة توظيفاً جديداً ، إنه يجعلها مُمتعنة ومساعدته في ليل سماته الخوف
والقلق ، إنه يصورها رلقة للبقاء لا تزيد أن تزع من الحياة . إنه يسقط
عليها مشاعره هو ، ورغباته هو ، إنه يربط مصيره بمصيرها . يقول :

لقول ومالي مُمتعنة غير شمعة
على طول اللي ما تزيد نزوعاً
كلانا نحيلْ ذو اصغار معتنَّة
يدلر لسالت من خشأة نجعنا
الا سعاديني طول ليلاك إنسا
ستنقني لذا جاء الصباح جبعنا

^١ - معاذ التصرين ، ج ١ / ١٣٩ .

^٢ - معجم الآباء ، ج ١ / ٣٤٦ .

فما الذي جعل ابن ماكولا ينضر هذا اللناء المحقق ؟ مع أنه " كان
ليبيا علِيًّا ، عالِمًا ... وكان نحوياً مجيداً ، وشاعراً مهِرَّاً ، جازلَ الشَّعر
قصصَ الكلم ، صاحبَ النَّقل ، ما كان في الْبَدَارِيِّينَ في زمانِه مثِلَّه " ١ .

ولكنه برغم علمه وفضله كان ابن وزير ، فهو ابن الوزير أبي القاسم
هبة الله بن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه ، وكان عمته أبو عبد الله الحسن
ابن جعفر ، قاضي القضاة ببغداد ٢ ، ولكن مصير الوزراء في هذا العصر
المعروف ، أقل ما فيه التذيب والمسارع مما كانت منزلة الوزير . هل
حدث شيء ما جعل (ابن ماكولا) يتقلَّ من مكان إلى مكان فقد " سافر إلى
الشام والسوائل وديار مصر ، والجزيرة والنور والجبل ، ودخل بلاد
خرسان وما وراء النهر ... ودخل مصر في زرى الكتبة - أى متذكرأ ، ورجع
إلى بغداد فقام بها ، ثم خرج إلى خوزستان فظل هناك " ٣ .

فهل كان ابن ماكولا يتوقع هذا المصير ؟ ربما ظلَّ كان متهمًا على
الأكل في بيته ، يقول ابن الجوزي : " سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فسي
بيته ويقول : الطم يحتاج إلى دين " . وربما كانت هناك مقدمات جعلته
يحس بالاغتراب الشديد ، يحس بالوحدة ، ويتوافق اللناء العاجل .

ومن هنا وجدناه يلْجأ إلى الشمعة طلباً منها المساعدة " ألا سعادتي
طُولَ لِيلَك " ، إيه يخاف أن تنتهي فتصاصعف وحدهة ظليس له أليس يسعده في

١ - معجم الأدباء ، ج ٤ / ٣٤٢ .

٢ - نفس المسقطة .

٣ - معجم الأدباء ، ج ٣ ، ٣٤٢ / ٣٤٣ .

٤ - نفسه ، ص ٣٤٢ .

ليله الطويل غير هذه الشمعة ، إِنَّهُ يبتهَا رغباته فِي التسکِ بالحرباء ، ولهذا
وَجَدَنَا الشمعة ترْفَعُ لَنْ تُلْعَنُ عَنِ الْحَيَاةِ ، لَا حِيَا فِي الْحَيَاةِ فَهِيَ تَرْفَعُ
مَصِيرَهَا ، وَلَكِنَّ لِتَوْسِيْتِهِ فِي لَيْلَهِ الْخَافِيِّ الْمُضطَرِّبِ .

لَذِ عَالَمَا مَعَا - الشمعةُ وَالشاعرُ - لَيْلَهُ طَوْبَلَهُ يَتَجَاهِلُهَا صَرَاعُ بَيْنِ
الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . فَالشمعةُ لَا تَرِيدُ نَزْوَعًا وَالشاعرُ لَا يَرِيدُ نَزْوَعًا أَيْضًا ، وَمَعَ
الصِّبَاجِ الشاعرُ يَتَوَقَّعُ الْفَنَاءِ الْحَسْنِيِّ ، وَنَذَلَكَ مَعَ ظَهُورِ أَمْرٍ وَمَعَ اِنْتَهَاءِ أَمْرٍ
الشمعةِ .

وَبَيْنِ الرُّغْبَهِ فِي الْفَيَاءِ وَحَفْمَهِ الْفَيَاءِ ، يَعْشُ لِبْنُ مَاكُولَا وَالشمعةُ حَالَهُ
وَلَهُدَهُ أَعْرَاضُهَا : الْأَصْفَارُ وَالنَّحْوُ ، وَالْعَذَابُ الدَّاخِلِيُّ . وَتَنَلُّكُ يَسِّبِّبُ
الْأَخْرَاقَ بَلْرَمَادِيَّهُ فِي الشمعةِ وَلَنَارِ مَعْنَوَيَّهُ فِي لِبْنِ مَاكُولَا .
وَلَكِنَّهُ كَانَ مَتَّاکِدًا مِنَ النَّهَايَهُ ، "إِنَّا سَنَفِي إِذَا جَاءَ الصِّبَاجَ جَمِيعًا" .
وَلَهُدَهُ قَتْلُ وَانْطَفَاطُهُ مَعَ شَمَعَتِهِ .

٤٦

لَمَّا الْحَسْنُ بْنُ أَبْدَ الْفَارُوقِيُّ ، أَبُو الْمُصْرِ ، (ت ٤٨٧) فَدَ جَعْلُ مِنْ
الشمعةِ مَؤَانِسَهُ وَمَسْلِمَهُ فِي وَقْتٍ عَلَيْهِ الْمَؤَانِسُ وَالْمَسْلِمُ . فَالْفَارُوقِيُّ
شَاعِرُ رِقْقِ الْحَوَالِيِّ مُلِيْعِ النَّظَمِ مُمْكِنُ مِنَ الْفَالِقَهِ .. وَكَانَ نَحْوِيَ رَأْسًا ،
وَإِيمَامًا فِي لِلْقَوْمِ يَقْتَدِي بِهِ ، وَصَفَفَ فِي الْأَدَابِ تَصَافِيفَ تَقْوِيمَ لَهُ مَقْلَمَ شَاهِدِيَّهُ
عَدْلَ بِفَضْلِهِ وَعَظَمِ قَدْرِهِ .. كَانَ فِي أَيَّامِ نَظَامِ الْمَلَكِ وَالسُّلْطَانِ مُكْتَشَاهَ^١
وَكَانَ "تَوْلِي الْبَيْوَانِ بَادَ وَلَسَامَ التَّبَيِّرِ فِيهِ ، لَكَهُونَهُ وَدَاخِلَهُ حَقَقَ مَعَهُ
وَاعْتَقَلَ إِلَى أَنْ شَفَعَ فِيهِ طَبِيبٌ كَانَ حَظِيًّا بِحُضْرَهُ مَلَكِ شَاهَ . فَأَطْلَقَ سَرَاجَهُ .
وَانْتَلَقَ إِلَى مِنَالَارَقِينِ . وَقَدْ باضَتِ الرِّيَاسَهُ فِي رَأْسِهِ وَفَرَغَتْ" .

^١ - مَعْمَمُ الْأَثَيَاءِ ، ج ٢ / ٤٢٧ .

^٢ - لِيَاءُ الْرَّوَاءِ ، ج ١ / ٢٥١ .

وقام بالتمرد والعصيان مع أهل ميلاده على ابن مروان صاحب
ديار يكر ”ولسقط اسم ابن مروان من الخطبة .. وبلغ ذلك ابن مروان ..
فأخذ به جيشاً .. وصطفوا في الرحب على المدينة حتى أخذوها عصبة ،
وأيضاً على ابن لسد ، وجئ به إلى ابن مروان فأمر بقتله .. فتدخل الصناعي
وكان لابن لسد يد عذراء – في الشفاعة فيه إلى أن أطلقه ابن مروان .

وأقام ابن أسد مدّة ساعت حاله وجاهه بخواه وعذراء أعنوانه ، ولم يقدّم
أحده على مقاربته ولا من اندنه .. حتى أصرّ به العيش ، فعمل قصيدة مدح بها
ابن مروان ، وتوصّل حتى وصلت إليه ، فلما وافت ابن مروان عليها غضب
وقال : ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس ، حتى يزيد مما الرقد والمعيشة ،
لقد أذكرني بنفسي ، فلذهروا به فاصطبروه ، لذهروا به فاصطبروه ” .

فالفاروقى باضط الرئاسة فى رأسه وفرخت ، أى أصبح محباً لها ،
قاده حبه للرئاسة إلى التمرد ومنها إلى السجن والتهديد بالقتل ، ثم شفاعة بغير
مسامحة ، ثم إلى وحدة ، وقرر وضنك ، ثم إلى الصلب بالذنب القديم .

هذه حياة الفاروقى وهذه مأساته ، والتي جعل شمعته تعيشها ، بحيث
الصفات هي الصفات واللامح هي الملامح ، لا فرق إلا في أنها ندية وهو
منّاً ، والمنادي أعلى في الريمة من النديم ، وإن لهبها ياذ ولهمه خصي بين
جوانحه . يقول الفاروقى ^١ :

^١ - معجم الأدباء ، جـ ٢ / ٤٥٩ .

^٢ - معجم الأدباء ، جـ ٢ / ٤٦٢ .

ونديمة لي فس الظلم وحيدة
مثلي مجاهدة كمثل جهادى
فاللون لونى والندمغ كلامى
والقلب طين والسهلا سهادى
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن
لهى خطاً وهو منها بادى

فالقاروقي عاش الشمعة وعائشة . الاثنان يمران بنفس الظروف
فحولهما في ظلام يجمعها . ظلام الشمعة على الحقيقة وظلام القاروقي خوف
وفرج وعدم طمانينة .

وكذلك الرحمة فهو وحد معروف الناس عليه ، وهي وحيدة لأنها لردها
كذلك . هي تجاهد احترافها ، وهو يجاهد ما ينطويه من خوف وفرج .

وما دامت الظروف واحدة ، فالآخرين بطبيعة الحال متكونون واحدة ،
ولذلك وجنا : اللون هو اللون ، والنдум هو النдум وكليه المضطرب هو قلبه ،
والأرق هو الأرق . فالاثنان شيء واحد ، لا فرق غير أن لهما مادي وأبهى
معنوى في داخله .

وفي النهاية صلب القاروقي وصلبته شمعته لأنها كانت من وحي
خياله الخلف وإحساسه المضطرب ، فطبيعي أن تصلب بصلبه .

● ● ●

ويأتي الطغرائي الحسين على بن محمد الأستاذ ، مؤيد الدين الأصبهاني (ت ١٥١٥هـ) ، ليجعل من الشمعة مقاييس المعاداة والك و العصبة فلجد معاداته و مالسيه تفوق ما تتحمله الشمعة بكثير ، لقد كان له مع الشمعة شتون و شجون ، مثلاً كانت له مع الحياة شتون و شجون .

فالطغرائي يضم الطاء المهملة ، و سكون الغين المعجمة وفتح الراء بعدها ألف مقصور ، هذه النسبة إلى من يكتب الطغرائي ، وهي الطراة التي تكتب في أعلى الكتاب فوق المسماة بالقلم المنظف ، و مسمونها تحووت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي لفظة أعمجية ^١ .

والطغرائي " خدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان ، وكان منتشراً السلطان محمد مدة ملكه فتوأى بيوان الطغراء ، وصاحب ديوان الإنشاء ، تشرفت به الدولة السلجوقية ، وتشوّقت إليه السلالة الأيوبية ، وتنقل في المناصب والمراتب ، وتوأى الإشيناء ، وترشح للوزارة ولم يكن في التولتين السلجوقي والإسلامية من يعادله في الإنشاء .. وله في العربية والطقوس قدر راسخ وله البلاغة والمعجزة في الفهم والتأثر ^٢ .

ولقد ألم الطغرائي بمعرف عصره ، وقال الشعر ، وأحسن في نفسه مطمحوا إلى المناسب فانخرط في ملك الكتاب يقترب من المستقبليين والوزراء يخدمون الملك ونظم الملك ، ودخل إلى السلاطين خدم ملكته ثم ولدته محمدأ .

١ - وفيات الأعيان : ٢٥٠ / ٢ .

٢ - مجمع الأنبياء ، ج ٣ / ١٥٢ ، ١٥١ .

وبعد أن تقلب في حلو العيش ومره أصبح نائباً في ديوان الظفراء في وزارة (الخطير) .. ولا شك أنه انتهج كثيراً للمنصب الذي هو أهله ، وحقق به هنفأً طالما سعى عليه ، فهو يطبع بالصدارة ، ولا يرضي لنفسه أن يبقى كافراً بين كتاب الكفرين ، لو نلتباً يعيش ظلاً لغيره ، ثم إنه لا يسعى إلى ديوان الظفراء من أجل ديوان الظفراء ، إن هذا لا يكتبه ، وما هو إلا مرحلة تقرية من العهد^١ ..

إن خواص المطرغاني كان الأبد يطمح إلى ما فوق الوزارة ، ومن حقه أن يحلم ، ألم يمتلك كل المقومات التي تزدهر والتي ييز بها غيره ..

يقول المطرغاني معتبراً عن طموحه وأحلامه :^٢

إذا لم يكن لي في الولاية بسطة

يطول بها باعى وينتظر بها ويدى

ولا كان لي حكم مطاع لجذره ..

فلرحم أسداني وأكثثتْ حُسْنِي

ولم يعشْ بالي موكيث بعد موكيث ..

مخالفة إيمانه وتأميمه مؤصد

فلروجَ لي منها اعتزال بقصوتنى

صيانته مطرور الغرار بن مُفتاح

ولكن هل يتركه من حوله أن يحقق مطامحه ، إن هذا العصر لا يعترف بمقومات التفوق ، بل ربما هذه المقومات تجر على مسامحها أضيقاناً

١ - ديوان الظفري، المقدمة ، من ، ١٠ .

٢ - الديوان ، من ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

واحدةً إن من حق الطفاني أن يطعن وإن يسعى لأعلى المراتب ، ولكن أعلى المراتب يشقها الغير ، كما أنها محل أنظار الغير أيضاً ، ولهذا وجئنا من وضعوا مطمحه تحت المراقبة ”فيتشعوا حر كاته وسكناته ، ويقتروا كل نامة ، ويحسدوا ويفقدوا ويشوهوا الحقائق ويختلوا الأبطال ، ويصبحون كل إزاحة الطفاني عن طريقهم والاستعونة في سبيل ذلك العافية بكل وسيلة ، وهو هم يقتربون من عاليتهم ، وينزرون عليه قلب السلطان – في أصفهان – ويذللون اللوماء ويحدون من كلاته ويحطون من مكانته ، فلم يبق له ذلك ولم يعد له ذلك النفوذ ولقد بات في هم وقلق وبين إكدام وإjection^١ وأصبح يرى مطمحه وأحلامه وهي تخضر حتى لم يعد يستطيع المحافظة على الوظيفة التي يشغلها ، فنراه يكفر بالذات والمجتمع . ويرى أن كل من حوله ثواب ”كيف تحيث فرهم عن صديق ، يقول :
قالوا وقد يكرروا العذاب لـ رأوا

أني بقيت بلا صديق فاردا

هلا اقتربت صداقتي من مساحي
يغدو على ثوب الزمان مُشاعدا
فاجتهدوا والحق ينصر نفسه
والصدق لا يبغي عليه شاهدا
إن الصديق هو اسم معنى لم تجد
من طالبيه في البرية واحدا
من ليس بهم والله لم يخلقهم
إن لم أقل حقاً ثم لأنوا واحدا

^١ - مقدمة النبوان ، من ١١ .
^٢ - النبوان ، من ١٣٦ ، ١٣٥ .

ويترك أصفهان ويدهب إلى بغداد بعيداً عن أعين أعدائه ، ويعمل في خدمة الخليفة (المستظير) ، ولكنه لم يjal المنزلة التي يستحقها ، فليس من السهل على الخليفة أن تختص رجلاً لم ترض عنه السلطة ، فسرعان ما يعزل الطغرائي من الديوان ، ويختبر الطغرائي الديوان في الوقت الذي كان يحدث نفسه بالوزارة^١ .

ويضيق الطغرائي بمجتمعه وتضيق نفسه ، ويكره بغداد ومن فيها ، حيث أصبحت له دار غربة ، دار لا تعرف بمنازل الرجال وأقدارهم . المناسب تسلد لغير أهلهـ . ومن ثم وجدهـ يصب جام غضبه على بغداد حيث لا فائدة من المقام فيها .

يقول في العراق نادماً ومتناهراً على ما قضاه فيها من وقت ومال^٢ :

مِلَّتْ شَوَّالِي بِالْعَرَاقِ وَمُلَّى
رَفَاقِي وَكَانَ بِالْعَرَاقِ طَرَابِاً
وَأَنْقَطَ مِنْ غَمْرِي وَذَكَرَ بِهَا
بَصَانِعَ لِمَ أَنْكَرَ لَهُنْ حَسْلَا
وَفَلَاقَنِي أَهْلُ الصَّفَاءِ تَبَرِّسَا
بَشَحْطِ تَوِي شَلْبَا عَلَيْهِ وَشَسَابَا
فَلَا زَلَّرْ يَهْشِي جَنَانِي لَحَاجَةٍ
وَلَا أَنَا أَغْشِي مَا أَفْسَطَ جَنَانَا
إِذَا قَلَتْ : إِلَىٰ قَدْ خَلَقْتَ بِصَاحِبِ
مَسْكَنِكَ إِلَيْهِ ، خَلَانِي وَأَرَابَا

^١ - مقدمة الديوان ، ص ١١ .

^٢ - ديوان الطغرائي ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

أَلْبَعْنِي لَا أَرِى غَيْرَ صَاحِبِ
ظَنَنْتُ بِهِ الظَّنُّ الْجَمِيلُ خَابَا
وَكَيْفَ تُولِّي بِالْعَرَقِ وَقَدْ غَدَا
عَلَىٰ يَهَا رَوْحُ التَّسْمِ عَذَابَا

ويكرس هذه الحالة النفسية وإحساسه الشديد بالفقد والغربة ، شعوره
بحاجته إلى أهله ووطنه بعد أن انقض الناس من حوله بل وربما وجهاً إليه
سهامهم . يقول في لادته المشهورة ^١ :

فِيمَا إِلَّاقَتْهُ بِالزُّورَاءِ لَا سَكِينَ
بِهَا وَلَا نَاقِنَ فِيهَا وَلَا جَمِيلَ
نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ صَبَرَ الْكَفَ مُنْفَرِّ
كَالْسَّبِيلُ عَرَىٰ مَنْتَاهَ مِنَ الْحَلْلِ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي حَزَنِي
وَلَا أَنْسِي إِلَيْهِ مُنْهَسِ جَذَنِي
طَالَ اغْتَرَابِي حَتَّىٰ هُنَّ رَاطِنِي
وَرَثَكُلَّهَا وَقَرَىٰ الصَّالَةَ السُّدُنِ
عَالَىٰ بَنْسَى عِرْفَاتِي بِقِيمَتِهَا
فَصَنَّتْهَا عَنِ رَخِيمِ الْقَدْرِ مُبْشِلِ
وَعَلَادَةَ النَّصْلِ أَنْ يَرْزُهِ بِجَوْهِرِهِ
وَلَيْسَ يَحْصُلُ إِلَّا فَيُبَذِّلُ بَطْلِ

^١ - ديوان الطغرائي ، من ٣٠١ وما بعدها .

ما كفت لرئي ان يعند بي زمنى
حتى لرى دولة الاروغاد والشغف
تقدمتى انسان كل شوطهم
وراء خطوى لا انى على مهل
هذا جزاء امرىء افرانه درجوا
من قلبه فتنى فسحة الأجل
ولن علاني من دونى فلا عجب
لى اسوة بانحطاط النمس عن زمل

ويقر الطغرائي العودة إلى "جن" القرية التي ولد بها بأصفهان
ويعرض في "الرئي" وهو في طريقه إلى بلته ، فيبني نفسه وحاله يقول :
مريض بأرض "الرئي" أعيشه داءه
وليسن إلا بحسب طبيب
غريبة ، غريبة اللقدر واللصلة والهوى
الاكل حل الفاضلين عجيب
ومالي ذنب يقتضى مثل حالى
 سوى انى ، فيما يقال : ليبي
أنى له جمع الحظ والفضل للتفى
إلى أن يرى ماء سفارة لهيبها
فإن عشت لم أخرج بسلام وإن لست
فلا مات بعدى في الزمان غريبة

ويذهب الطغرائي إلى بلده ، ويبدأ رحلة البحث في الكيماء ، علماً وتأليفاً حيث "كتف الأستان أبو إسماعيل سر" الكيماء ، وفك رموزها واستخرج كنوزها ، وله فيها تصانيف منها : جامع الأسرار ، وكتاب ترا��يب الأنوار ، وكتاب محقائق الاستشهادات ، وكتاب ذات اللونك ، وكتاب الرز على ابن سينا في إبطال الكيماء ، ومصابيح الحكمة ، وكتاب مقاييس الرحمة ، وله ديوان شعر وغير ذلك^١ ، ولكن عمله في الكيماء جزء عليه التبر^٢ فيما بعد حيث كان كل من يخرج عن العلم التقليدي تتخذه ضده ذريعة بالزندقة والإلحاد حدث هذا مع أبي حيان الوجيد ومع أبي العلاء ، ومع الطغرائي أيضاً .

عاش الطغرائي في بلاده فترة هادئة ولكن نفسه الطالحة إلى المعاناة لم تهدأ ، وكلما وجد من هم أقل منه في أعلى المناصب تثور نفسه ، وسرعان ما غلب عليه هواه فبدأ يبحث عن رحلة المتعاب من جديد وربما هي رحلة النهايات . يقول في عزله ومقامه في أسطفان^٣ :

فيم المكلوم على الهشوان وهشي
ترى من الغرامين بين وستي ميشن
المسلم في دار وأقصى راضياً
إني لنضي إن قطلت لأظلهم
إلا لكن شاكي السلاح فسانني
بالعز والرأي الحصيف مسوم
نفسى مشتبه ، وظبى باسل
وبدى مؤنسه ، وعقدى محكم

١ - مجمع الأنباء ، جـ ٣ / ١٥٦ .
٢ - ديوان الطغرائي ، ص ٣٤٣ .

فُلَّ لِلْأَكْسِي تَجْهُوا وَرَامُوا حُكْمَةً
صَرَاءُ أَعْيَا لَنْ تَصْدَأَ الْأَجْمَعُ
إِلَّا تَخْتَوْا عَنْ عِنَادِي لَهِبَاهَا
شَوَّاهَ يَنْهَى مِنْ جُولِيهَا اللَّذُمُ

إِصَابَنْ بِالْقَهْرِ ، إِصَابَنْ بِالظَّلْمِ ، وَلَكِنْ هُلْ لِسَحةُ الطَّغْرَائِيِّ التَّسِيِّ
رَفِعَهَا وَالْمُتَمَثَّلَةُ فِي الْعَزْمِ وَالرَّأْيِ الْحَصِيفِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، نَسْطَعِنْ لَنْ تَهْدِي
السَّبِيلَ وَالرَّمْحَ فِي صَرَاءِ بِرِيِّ الْقَلْلِ خَلَاصًا .

يَدْهُبُ الطَّغْرَائِيُّ إِلَى الْمُوَصَّلِ لِيَقْرِبَهُ السَّلَطَانُ مُسَعُودُ وَبِجُلَهُ وَزِيرِهِ ،
وَعِنْدَمَا مَاتَ السَّلَطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ مُكَّ شَاهَ ، خَلَفَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ أَخْوَ السَّلَطَانِ
مُسَعُودٌ ، وَلَكِنْ مُسَعُودٌ يَنْزَلُ عَلَيْهِ وَيُرِيدُ أَنْ يَسْتَقْلُ بِالْمُوَصَّلِ طَهَارِيَا وَقَتْلَا وَقَتْلُ
السَّلَطَانِ مُسَعُودٍ ، وَيَقْضِي عَلَى الطَّغْرَائِيِّ بِتَقْتِلِهِ وَقَدْ جَاَوَرَ السَّفَرِينَ ، " وَرَوَى
أَنَّهُ لَمَّا عَزَمَ السَّلَطَانُ مُحَمَّدُ عَلَى قَتْلِ الطَّغْرَائِيِّ أَمَرَ بِهِ لَنْ يَنْذَدِّ إِلَى شَجَرَةٍ ،
وَلَنْ يَقْتَلْ جَمَاعَةً بِالسَّهَامِ ، وَلَنْ يَقْتَلْ خَلْفَ الشَّجَرَةِ يَكْتُبْ مَا يَقُولُ
وَقَالَ لِأَسْحَابِ السَّهَامِ لَا تَرْمُوهُ حَتَّى أَتْبِرَ إِلَيْكُمْ ، فَرَفَقُوا وَالسَّهَامُ مَقْوَمَةً لِرَمِيمِهِ
فَلَتَشَدَّ الطَّغْرَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْحَالَةِ :

وَلَقَدْ أَكْتُوْلُ لَمَنْ يَسْكُنْ سَهَّنهِ
دَحْوَى وَأَطْرَافَ الْمِنْيَةِ شُرْغٌ
وَالْمَوْتُ فِي لَحْظَاتِ أَحْسُورِ مَطْرَقَهِ
ذُونِسِي وَذُلِّسِي ذُونِسِيَّ بَقْطَنْغٌ
بَالَّهِ فَتَشَ عنْ فَوَادِي هَلْ يَنْرِي
فِي لَغْرِيْهِ مَهْوِي الْأَحْبَةِ مَوْضِيَّ
أَهْنِ بِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَبِيهِ
عَهْدَ الْحَسِيبِ وَسِرَّهُ الْمُسْتَوْدَعِ

فرق له وأمر بإطلاقه^١ .

أطلقه السلطان ولكن أخذ وزيره لم تطلقه مصر عن ما اتهمه بالإلحاد^٢ .
قال وزير محمود : من يكن ملحداً يقتل ، وقتل طلما ، وقد كانوا خافوا منه ،
ولا قبل عليه لقتله فاعتذر قتله بهذه الحجة^٣ .
وهكذا طوبيت حياة الطغرائي ، ولكنه خُلِدَ في التاريخ كرجل قتله
لقتله .

وهكذا وجدنا حياة الطغرائي حياة مقلوبة تحالم كبير ، عاش ظلمًا
وقهرًا وغربة ، لأنى من مجتمعه الحقد والكره والموت أيضًا عاش عصره
كأنه فقيرًا ، فلقى على نفسه ، فلقى على مجتمعه لقد فقد المغاربي كل شيء ولم
بعد إلا الموت ينتهاه . يقول :

يا ربِّي إن كان عيشي هكذا عصمتا
فامتن على موتي فهو أرواح لى
لُكْلُ وفُرقَةُ الْبَسَابِ وَمَرْزَةُ
فيِّ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْأَيْمَاعِ وَالْخُولِ

ومن هنا تكونت نظرة الطغرائي إلى الشعمة ، نظرة مهموم استقرقة
هذه ، نظرة مفروج طال ليه وغاب صبحه ، ومن هنا وجدنا الطغرائي
يتخطى غيره من الشعراء ، الذين جعلوا من الشعمة ذواتهم أما الطغرائي مما

١ - مجمع الأدباء ، ج ٢ / ١٥٣ .

٢ - وفيات الأعيان ، ج ٢ / ٩٠ .

٣ - قديوان ، ص ٣١٤ .

به أكثر وأكبر ، لأن معاناته لا تقارن ، ومن هنا وجدنا الشمعة عده مساعدة
فقط يشلي بها ، حيث الشجي يبعث الشجي . يقول الطفرلى فى عمود
الشعر :^١

ومساعدى فى البكاء مُتَاهِرٌ
بالليل يُونَسْلِى بِطَوبِ لَقَلْبِهِ
هَامِيَ الْمَدَامَعَ لَوْ يَصِلُّ بِعِينِهِ
حَامِيَ الْأَضَالِعَ لَوْ يَمُوتُ بِدَلْهِ
غَرَشَانَ يَأْخُذُ رُوحَهُ مِنْ جَسْمِهِ
فَحَلَّاهُ مِنْ هُونَةِ بَدَائِلِهِ
يَنْفَى عَلَى تَلْفِ فِضْرَبِ غَلْقَهِ
فَيَكُونُ أَكْسَى مُوجِبِ لَشْفَالِهِ
سَارِيَةُ فِي لَوْنَهِ وَنَحْولِهِ
وَفَضَلَّهُ فِي بُؤْسَهُ وَشَقَالِهِ
أَفْوَادُعَ طَلْوَنَ الْهَمَارِ مَرْفَعَةٌ
كَعَذْبَ بِصَبَاجِهِ وَمَسَكِهِ

ونلاحظ في البداية أن الطفرلى يتحدث عن الشمعة هنا بلغة المستكر
باعتبارها عموداً أو قضيباً من الشمع ، على ما يحمله الذكر من قوة تحمل
وتشيز في المقدمة ليتناسب ذلك مع ملوكات الطفرلى وقراته .

والطفرلى يحاول أن يسقط حالته النصورية على عمود الشمع . فعمود
الشمع يبكي مثلاً يبكي ، ويسمير مثلاً يسمير . ولكن برغم الدموع التي تلتف

^١ - النيون ، من ٤٢ .

الاثنين إلا أن الطغرائي يائس به ، لأنه فقد الصديق والصاحب ، وأن الطغرائي كان يجلأ وجذبه يسقط هذه الصفة على عمود الشمع فهو لا تسقط دموعه إلا إذا أصيب بعينه ، وهو حامي الأصالح إلا مع موت محقق ، وعلمه المثمن في الإصابة لا يكون إلا بالتفاوت وضرب العنق .

كل هذا يدل على أن المصائب تصيره وتقويه ، مثلاً كانت مصائب الطغرائي تصيره وتقويه ، ولكن ربما كانت مصائب الطغرائي تقوى عليه .

ولهذا وجدها الطغرائي يوضح قوله ما يعلمه ، مبيناً أن عمود الشمع يرغم ما يلاقيه من ضرب للعنق ، ومن تحول ، والاصفار ، فالطغرائي يسر بكل هذا إلا أنه يزيد عنه في الإحسان بالرؤس والشقاء ، بل ويذهب إلى أبعد من هذا . يقول : لو افترضنا أن عمود الشمع يتراوئ معه في كل شيء في حرقة القلب ، والسهاد طول الليل ، ولكن يظل هذا في الليل فقط ، ولكن يستريح ويتنعم مع المسابح وطول النهار ، أما أنا فعذلي مستمر لا يتوقف لولا ونهاراً .

لقد غير الطغرائي عن حالته وحالة عمود الشمع باستبدال بعض المفردات السلبية والتي تغير عن مأسى كل منها والتي هي في الحقيقة مأسى الطغرائي وهذه فاستخدم "البكاء ، مساهير ، دماسع ، يصاب ، يموت ، داء ، غرغاث ، فداء ، تلف ، يؤمن ، شقاء ، حرقة القلب ، السهاد ، النجى ، معدب "

واستخدم بعض المفردات التي توضح حالته الإيجابية مع عمود الشمع مثل : "يؤنسني ، حياة ، الفوة ، الشفاء " وكلها تغير عن حالة وقوية ، ثم يختفي عمود الشمع ببعض المفردات التي تدل أن معاناته أقل من معاناة الطغرائي فاستخدم "وادع التي تدل على الثبات والاستقرار طول النهار ،

ومرقه اي منعم * والكلمات تدلان على راحة عمود النسم طول النهار ، فسي مقابل عذاب الطغرياني في الليل والنهاي وبصمة مستمرة .

ولكن حتى مساعدة هذا العمود الذى اعتمان به الطغرياني لم تستمر ، لأنه سرعان ما يضىء بالفباء المفتر ، وكان الأيام تستكثر على الطغرياني أن يسأل من الجمادات ، ولكن لا يأس أن يستبدل عمود بعمود آخر ، ولكن الكل يشترط أن يعمل مع الليل فقط ويتركه طول النهار . يقول الطغرياني في مقطوعة أخرى مركزاً على نفس الحالة التي لا تتغير :

ومروج سرّى سروره قاله
لولا التصال فناله يقاله
بحكى الفضيب قوله وندوله
حضاً وضوة اليد من أسمائه
فيمررتى لسلا بحسن وفاتله
ويسووني صبحاً بقبح حفاته
يشكر الحنين إلى الأليف ويقتدى
كيل يطلب نفسه برجالاته
إلى فوكى غير أن مواعده
صرف ، ودمعي ممزوج بدمائه
أعدي عليه لطسى قواوى فلاتقى
دار نجحت عن لطسى بزحاليه
لاغذب والسار فى غذابه
كمعذب والسار فى لحساته

* - الديوان ، ص ٤٣ .

فالطغرائي يصر عن مروره وفرحه بقاء عمود الشمع ، ربما بسبب الوعاء الزمني الذي يظهر فيه ، لأن عمود الشمع لا يظهر إلا مع الليل ، فخلوة المهموم مع الليل قد تفاته ، ولهذا وجدها الطغرائي سعد بعمود الشمع لأنه الوحيد الذي يرنسه مع رهبة الليل ووحشته ، إلا أن الطغرائي كان يحتاج أن يكون عمود الشمع بجانبه في الليل والنهار ، وهذه دلالة على أن الطغرائي قد فقد الأkin والأمان في الليل والنهار ولكنه في النهاية يقل منه العذر ، فهو أفضل من تركوه ليلًا ونهاراً .

ثم يعود الطغرائي مرة أخرى ليبين أن معلماته ومأساته تنسى من معاناة عمود الشمع ومأساته ، فالطغرائي يبكي بما مخلوطاً بالسماء أى أن بكاءه متخللاً في كل جسمه ، لما عمود الشمع فيبكي دموعاً ثقيرة غير مخلوطة كما أن اللار في عمود الشمع لا تكون إلا في رأسه فقط ، والذي غير عنه بالعذبات ، لما عذاب الطغرائي فيمزق ويحرق كل أحشائه .

تجربة إيسائية مريرة لم يرد الطغرائي أن يستقبلها بكمالها على الشمعة رفقاً بها ، وحتى لا يكون ظالماً ، وهو يعاني مراارة الخالم ، ولهذا وجدها عندما يشتكى للشمعة ناراً ملتهبة في قلبه ، وجدتها تشتكى نفس الداء ، ففرق لها واكتفى بأنها تعيش نفس تجربته .

ولهذا وجدها الطغرائي يعرض الشمعة التي يضرب بها المثل في الصير والتجلد والاحتلال على أنها أقل منه تحملًا وتجددًا ومعاناة . ولهذا وجدها لا يتشبه بالشمعة بل الشمعة هي التي تتشبه به . يقول متحسناً عن الشمعة بلغة المؤذن ، ربما لأن تزيمته قد خارت :

^١ - ديوان الطغرائي ، من ٢٦٣ ، ٢٦٢ .

شبيهٌ بـى طول الليل ناحلة
 صفراء أثني فواها الدمع والأرق
 لها من الناز روح فوق سوق مترقبها
 تدبُّ فيها ولا يبقى لها رَّمقٌ
 تكابد الليل تفاصي ويناكهمها
 وللليل يضحك إذ ينكي وتحسربِ
 نقلتْ : ما أنتِ مثلي ، أنتْ نفس دعنةٍ
 طول النهار ويسوئي كُلَّةً لائقٍ

فالشمعة تتشبه بالطغرائي في السهر والضعف والامساخر والندع
 واللائق والمكابدة . إلا أنها ليست مثل الطغرائي لأن معاناة الشمعة كما مرّ
 تكون في الليل فقط أما معاناته فهي اليوم يأكلمه .

إلا أن الطغرائي قد نقل المعركة بيته وبين مجتمعه إلى معركة بين
 الليل والشمعة ، فالشمعة تقصى على الليل فتصنم ظلامه إلا أن هذا يكون
 على حساب جسمها وعمرها حيث يتلاصص بالتلازم ، فمعظواها مفترن دائمًا
 بالفناء ، كما أن عظام الطغرائي وتتميزه هو الذي عجل ب نهايته ألم نقل : إيه
 الرجل الذي قتله فضلاته .

وهكذا وجدنا الطغرائي ينقل الشمعة إلى محيطه العادى والمعنوى ، لا
 ليقىن عليها معاناته باعتبارها المثل ، ولكن ليوضح أنه يقتبس أكثر مما
 تقابسه حيث إنه يحصل مثلاً تحصل ولكنه يقوها بعدة أشياء منها :
 - أنه يفضلها في الإحسان بالرؤس والشقاء فهو بشر وهي جبل .
 - أنها تذهب في الليل فقط لما هو قيعدب في الليل والنهار .

- إن دموع الشمعة نفحة غير مخلطة لما دموعه ضمروحة بالدماء .
- إن دار الشمعة في رأسها فقط ، أما دار الطغرائي ففي داخل أحشائه .
- ولكن برغم هذا لم يجد الطغرائي أفضل منها يائس به في زمان حفاه
فيه الصديق ، وعز فيه الصاحب . وبقي الطغرائي من شمعته فسي موسيخ
الرمان على الدوام .

وتنتهي رحلة الشمعة مع أسامي بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) ليصنف
الشمعة بالبصر والكرم مثلاً لتصف هو بهما "أسامة بن منقذ من أكابر بني
منقذ ، أصحاب قلمة شيزر ، وعلمائهم وشجاعتهم ، له تصانيف عديدة فسي
فنون الأدب "١ و قال العمار : وأسامي كاسمه في قوة نثره ونظمه ، بلوح من
كتابه ألمارة الإمارة ، ويجلسن ينكح فريضه عمارة العبرة ، حلو المجالسة ،
حالى المساجلة ندى الذي يماء الفكاهة ، على النظم فى سماء الباها ، محفل
التصاريف مطبوع التصانيف ، أسلكه عشق الغوطة ، دمشق المغفوطة "٢ .
إلا أن الرجل برغم فضله وأدبه وإيمانه إلا أنه تعرض لمحنة شديدة
هو وأهله . فقد قيل : "ما زال بنو منقذ هؤلاء ملوك شيزر ، وهن حصن
أقرب من حمام ، معتصمين بخصائصها ، مستعينين ببناتها ، حتى جاءت
الزلزلة فى سنة ثيف وخمسين ، فخررت جصتها ، وأذهبت خصلتها وتمكّنا
لور الدين محمود بن زنكي عليهم ، وأعاد بناته ، فتشبوا شعباً وفرقوا
أيدي سبا"٣ .

١ - وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

٢ - مجمع الأئمة ، جـ ٢ / ١٠٣ .

٣ - نفسه ، ص ١٠٣ ، وفرقوا أيدي سبا : أي تنددوا تنددوا لا اجتماع بعد ، وذلك نسبة
إلى سبا ، وقد قيل اليمن التي نفرت على أثر سبل أغرق ديارها .

وبعد هذه الحسنة القاسية ، التي شنت شمل ال منقذ وأذلتهم من منزلة
السواد إلى حاجة الباحث عن مأوى ، ينتقل أسماء إلى مصر فيفي بها مؤرخاً
مشاراً إليه بالقططيم ، ثم يد إلى الشام ، وسكن دمشق مخصوصاً بالاحترام
إلى أن دبت به كما تدب الدار بالكرم ، فذهب إلى صحن كفاف مقيناً بها فسي
ولده مؤثراً لها على بلده ، وظل إلى أن مات ودفن بجبل قاسيون ^١ .

وهكذا كان أسماء بن منقذ رجلاً نزل من عز الإمارة إلى الباحث عن
عنوان ، بعد أن غاب عنوانه وتشتت أهله ، ولكنه برهم لكساره وصبره
عاش بكرم الأمير ومحيا الأمير . ومن ثم كانت شمعته تحرق لكتها تصاجر
وتصنم ، وهكذا كان أسماء يكتم احترافه ويضيء كرم وعطاء . يقول أسماء
في الشعفة ^٢ .

لاظر إلى حسن صبر الشمع يظهر للر
رائين نوراً وفيه السار تستعر
كذا الكريمة شراء ضاحكا جنلاً
وقلبه بدخول الغمّ مُغطّي

وهل كان أسماء بن منقذ إلا مأسيراً كريماً .

ولكن أسماء لم يستمر في كفافه لواحدة وأجزله قبر عان ما يسكن عني
الشمعة لفترة المكلومين ليتها الأسهء وماسيه ، فيهي تشيه في التحول والشهيد

^١ - مجمع البلدان ، جـ ٢ / ١٠٢ ، وفيات الأئمان ، جـ ١ / ٦٣ .

^٢ - مجمع الأنبياء ، جـ ٢ / ١٠٦ .

و اللون واللسع ، ولكنها حبيبة إليه أيضاً لأنها هي التي تحدد ما يرى وما لا
يرى ، ولكنه لأنه جميل النفس لا يرى منها إلا الملاحة والجمال . يقول^١ :

أليس في ليلقطيعة مشبها
تحولا وتبهدا ولونا ، وأدمعنا
أوجه وجهنا منه حيث رأيته
مثيرا إلى من أشهى مطلعا
كملين جسمى سقفاً جذبه حيثما
بدالي علنيت الملاحة أجمعنا

وهكذا جاءت شعمة ابن منظر كريمة صابرية ككرم صاحبها وصبره ،
أحبها واعترف بفضلها حتى وهو يرى بحقنها السقيم وحتى لو أرشه الوجه
الواحد عدة أوجه .

وهكذا وجدنا الشعراً لم يكثروا بوصف الشمعة وتأملها فقط ، بل
جعلوا منها كاتشاً حياً ، يحسن بهم فيبتونها أحزانهم وأتراحهم ، ويظلمون عليها
مشاعرهم حتى إن كل شاعر كان يرى فيها نفسه .

^١ - ديوان إسماعيل بن منظر ، من ٢٠٤ .

الفصل الثالث

شعر الشمعة

نظارات فنية

من الملحوظ في شعر الشمعة أن النسمة الفالية عليه هي نظام المقطوعات الشعرية القصيرة لا الفصال الطوال . ولم يكن السبب في هذه الظاهرة يعود إلى عجز المقطوعين عن التطور كما يرى حازم القرطاجي في منهاج البلاء في حديثه عن الفرق بين المقطعين والمقطعين^١ ، لأن معظم الشعراء الذين وقروا عند الشمعة وتأملوها تشهد دلوايلهم بقصائدتهم الطويلة والتي تزيد عدداً عن مقطوعاتهم .

كما لم يكن سبب التقصير أن الشعراء أوجزوا وأختصروا ليحفظ عليهم كما أورد ابن رشيق القمي في المعدة^٢ . لأن الشاعر في الشمعة لم يكن يكتب لجمهور يحفظ عنه أو لمتلق خارجي يتلقى ما ينشد .

ولكن الشاعر عندما يكتب عن الشمعة فإنه كان يصفها في لحظة ثالثة سريعة لأن الشمعة مركب بسيط غير معقد لا يستدعي التطور . لو أنه أراد أن يعبر عن حالة امتراج نفسيه بيده وبينها وفي هذه الحالة كان يكتب لنفسه فقط ، إنه يعبر عن حالة نفسية منفردة فما جدوى المقدمات ؟ ، وما جدوى الخواتيم ؟ ، وما جدوى حسن التخلص والانطلاق ؟ ، وما جدوى التشكي من الرحلة وتعب الرحلة ؟ مادام شعر الشمعة في أغلبه يعبر عن صوت داخلي فقط ، صوت يردد إلى الذات فيحبس ويخرج نفاثات وأهات شعورية .

إن الشاعر وهو يكتب عن الشمعة ما أراد أن يشعر ولكنه أراد أن يتنفس بصدر كأنه يصعد في السماء . فجاعت أبياته الشعرية على قدر الحالة الشعورية التي تناهياً والتي يستحرقها عادة في لحظات بسيطة للماذا التطور

^١ - انظر : منهاج البلاء وسراج الأباء ، من ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

^٢ - انظر المعدة : جـ ١ ، من ١٣٣ .

إن؟ إنه يتحدث عن ذاته أو عن شيء يشبه ذاته ألم يمر بنا قول الفاروق في
وهو يتحدث عن الشعمة^١ :

ونديمة لي في الظلام وحيدة

مثلي مجاهدة كمثل جهادى

ذللون لونى والسموع كالسمعي

والقلب قلبى والمسها مسهاوى

لا فرق فيما بيننا لسو لم يكن

لهمى خفيا وهو منها بادى

أو الطغرائي الذى يجعل من عمود الشمع مساعدًا له في البقاء لأن
الشجى يبعث الشجى يقول في أبيات مرت^٢ :

ومساعد لي في البقاء ممساير

بالليل يوئسنى بطرسب لقلبه

مساوية له فسى لونه ونحوه

وغضله فسى جوسه وشقائه

لخودع طول النهار مرفة

كمعذب يمسايره ومساته

^١ - معجم الأدباء ، جـ ٢ ، ٤٦٢ .

^٢ - النيون ، ص ٤٢ .

إلا أن حالة الطفر التي أصعب بكثير من حالة عمود الشمع لأن الشمع يتعب ليلًا ويرتاح نهاراً ، أما الطفر إلى قفيه ليل نهار . ألم نقل أن شعر

الشمعة يغير عن حالة شعوربة لا شك عني التطويل !

أما قضيدة الأرجاني^١ في مدح عباد الدين طاهر بن محمد قاضي قضاء فارس ، والتي يبلغ عدد أبياتها سمعة وسبعين بيتاً ، فإنه جعل لها مقمة طويلة في وصف الشمعة تبلغ هذه المقمة أربعة وأربعين بيتاً ، وبعد هذا

لطول ما قيل في وصف الشمعة .

وكان الأرجاني لراد أن يستخدم مقمة جديدة غير ممهودة ، ظلم يعرف أن شاعرًا قبله جعل من الشمعة مقمة للقضيدة ، ولكن الأرجاني عطفها رغم أنه لطلب واسترداد ، فنراه يصف الشمعة جائعاً كل المعرف الذي تحدث فيها الشعراة في مقمعته للتدبيج ، ثم نراه يسقط علىها حاته النضية وهو منه التي يكادها ، وكذلك استبدل ما كان يصفه الشاعر القديم من وصف الشمعة الذي كان يعانيه هو وراحته وهو في طريقه إلى المندوب بشمعة تقاسى ويقاسي مثلاً وأكثر رغم على ملذتها ، ثم ينتقل إلى المدح في حسن تخلص بارع .

وللتالي معه بعض أبيات هذه المقمة الطويلة فتجده في بداية القضية يستخدم التصريح كعادة الشعراء في مقامات المطولة ثم يصف الشمعة ، فرى أن الشمعة تدخل على الليل فتختصر أسراره التي كان يخفيها ، ولكنها من أجل ذلك تلقي الأذرين ، فقلتها يخرج من قها عبر نار مشتعلة في رأسها ، يصيبها الهمز والمرض ، طول لسانها يجر عليها قطع علقها على

^١ - انظر ديوان الأرجاني ، جـ-٢ ، ص ٣٥٩ وما يليها ، والأرجاني : هو أحمد بن محمد الحسين ، أبو نصر ناصح الدين ، شاعر ، في شعره رقة وحكمة ، عرض المحك سلطنه القديم من الأنصار ، ت ٤٤٤ (انظر الأعلام ، جـ-١ ، ص ٢١٥ ، محمد التقسيس : جـ ٤ / ٤) .

الدولم ، تعيش شارقة في دموعها ، تنتفس نفس المهجور الذي قطعه أهله منذ
فترة طويلة ، فبات يبكي على ذكرهم بكاء حاراً .

هذه الشمعة نهاية الموت والهلاك ، حتى أن النسيم العليل الذي يحيى
الأرواح ويسعدها هو سر رزانت بالنسبة للشمعة . يقول^١ :

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَوْلِ كَانَ بِهِمَا
وَأَلْمَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا
قَلْبُهَا مِنْ بَرْ عَلَى وَهُوَ مَكْتَمٌ
إِلَّا بِرَقْبَةِ نَارٍ مِنْ تَرَاقِهَا
سَقِيمٌ لَمْ يَرِدْ طَولَ الْمَسَانِ لَهَا
فِي الْحَيْثِيْنِ بَخْتَنَ عَلَيْهَا ضَرَبَ هَانِبَهَا
غَرِيقَةً فِي دَمْعَةِ ، وَهِيَ تُحْرِقُهَا
لَفَاسِهَا بِسَدَوْمٍ مِنْ تَلَذِّيْهَا
تَنْفَسَتْ نَفْسُ الْمَهْجُورِ بِإِذْكُرَتْ
عَدَدَ الطَّلَبَاتِ فَيَاتِ الرَّجَدِ بِتَكِيَّهَا
يُخْشِيُّ عَلَيْهَا الرَّدِيْدِ مِمَّا لَمْ يَهْمِ
نَسِيمُ رَبِيعٍ إِذَا وَالْقِسْيُ بِحَيَّهَا

ثم ينتقل ليتحدث عن فوانيد الشمعة عبر عدة تشبيهات مختلفة : فيجعل
منها شهابا يشق وجه الأرض في المساء مشعلا نواصيها ، مفضلا موقعه في

^١ - نهاية الأربع للتوبيرى ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .
^٢ - في الدبور (كك) ، انظر جـ ٢ ، ص ٣٥٩ .

الأرض عن السماء ، لو يجعل من الشمعة غرة بريضاء ظهرت لنثير الليل
الداخنة السوداء ، لو هي ضرورة للشمس تظهر في عيالها فنلا الأرض نوراً
وضياء ، بل هي حد رمح يلمع حاصداً عساكر الليل . يقول^١ :

بدت كنجم هوى في لسر عزيزة
في الأرض فاشتعلت منها نواصيرها
نجم رأى الأرض أولى أن يزوالها
من السماء فلما طُوّغ أهلها
كأنها غرفة قد سال شبابخها
في وجه ذئابة يزهدها تحليها
لو ضرورة خلقت الشمس مابعدة
فكلما خبئت ، فامت تحاكيها
ونجدة كثيبة الرمح هازمة
عساكر الليل إن حلتْ يواكبها
ما طلبَتْ خطُّ فسي لرض مخيبة
إلا وافتَ للأيمصار داجيها

ثم ينتقل الأرجاني ليتحدث عن العديد من غرائب الشمعة : أسفتها بعد
أعلاها بالحياة ، حياتها في قتلها وحرقها ، ثارها ضوء أحمر اللون ، ماهرة
طوال الليل ، جلدتها أصفر ، شعلتها حمراء ، ذولتها سود ، لولتها بسوين ،
تمد الليل بالنور وهي تتنحر ، فُصل ثوبها من الداخل وليس من الخارج ،

^١ - نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

معكلاة القوم ; ولكن دالما تقص لمتها ، تقضى ليها ملتوحة العين ، تمرض
ولا تشفى إلا بقطع عقها ، يقول :

لها غرائب تفوه من محاسنها
إذا اتقررت بوئام في معايبها
كسعدة في حشا الطلاق طاعنة
تشفي أسلفها رثيا أعلبها
كاونجلة السوزة إلا في شاولها
والدامة الفصن إلا في تقويها
صفراء هذلة في اللون إن تختت
والذى والذى إن أتمت تشبيها
فالهند قتل بالبران الشيشها
ويعيدها إن ذلك القتل يخربها
وزر شنك به الإيدى إذا افقلت
وما على عصمنها شوك يوكها
ما ابن قزال نبيت للليل ساحرة
وما بها غلة في الصدر تطفيها
صفر غلاتها ، خضر عمالتها
سهرة ذواتها ، بيضاء لاليها
تحبى الليلى نورا وهي تقتلهما
پنس الجزا لعشر انه تجزيها !
فدت على قد شوب قد يقتلها
ولم يذكر عليها الشوب كاسيها
غراء ، فزعاء ما تفتك فالية
تقصر لمتها طوزا وقلتها

شَيْءٌ شَعْنَاءُ لَا تَكُسِي عَذَافِرَهَا
 لَوْزَ الشَّبَّيْةِ إِلَّا حِينَ تَكُوْبِهَا
 فَتَأْذَنَ الظَّمَاءُ لَا تَقْدِكَ يَاكِهَا
 سَلَنَهَا طَوْلَ طَعْنٍ لَوْ يَشَطِّهَا
 مَفْتوحَةُ الْعَيْنِ تَكُوْبِيْسِ لِيلَهَا شَهْرًا
 تَكُسِيْسُ ، وَلَفَلَاهَا إِيَّاهَا تَكُوْبِهَا
 وَرَبِّيْمَا دَلَّ مِنْ لَطْرَهَا مَرْضٌ
 لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَ الْقُطْعِ مَتَّهِبِهَا

ثُمَّ يَنْقُلُ الْأَرْجَانِي لِيَمْزِجْ هَمْوَهُ وَمَتَابِعَهُ بِهَمْوَمَ النَّسْعَةِ وَمَتَابِعِهَا ،
 وَلَكِنَّهُ يَقْتَلُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَهُنَّ مَسْعَدَةٌ وَهُوَ مَهْمُومٌ ، هُنَّ تَنْهَرُ أَسْرَارَ الْبَلِّ
 يَحَاوِلُهُ إِلْخَاهُهُ هُنَّ تَكَيْيِيْدٌ بَدْعَ جَارٍ وَهُوَ يَتَطَهَّرُ نَمْوَعَهُ خَوْفَ الْوَالَّشِينَ
 مَصْبِرَهَا مَرْسُومٌ وَمَعْرُوفٌ ، أَمَّا هُوَ فَلَا ، لَيْسَ لَهَا مَطَالِبٌ وَلَمْ يَتَبَعَّدْ عَنْ
 أَحِبَّهَا كَمَا ابْتَدَأَ ، وَلَا كَانَتْ حَسَادًا مُثَلَّمًا بِكَابَدَ ، يَقُولُ^١ :

وَيَلِّيْنَهَا فِي ظَلَامِ الْبَلِّ مَسْعَدَةٌ
 إِلَى الْهَمْوَمِ دَعَتْ قَلْبِيْسِ ذَوَاعِهَا
 لَوْلَا اخْتِلَافُ عَلَيْغُولَا بِوَاحِدَةٍ
 وَالْطَّبَاعُ اخْتِلَافٌ فِي مَيْلِهَا
 بِالْهَا فِي مَسْوَلِ الْبَلِّ مَتَّهِرَةٌ
 تَلَكَ الَّتِي فِي سَوَادِ الْبَلِّ أَخْبِهَا
 وَبِيَلِّا عَتَرَكَ لَيْنَ هَمْ نَظَرُوا
 غَيْضَتْهَا خَوْفٌ وَلَيْنَ وَهُنَّ تَجَزِّيْهَا

^١ - دِيْوَنُ الْأَرْجَانِي : جِزْءٌ ثَالِثٌ ، صِفْر٢ .

ما عانقها اليسالي فس مطالبها
ولا عندها العوادى عن مناخها
ولا رئتها يغدو عن أحنتها
كما رمشي ، وقرب من أعاديها
ولا تكبد حتسداً أكتابها
ولا تداحي بسى دفسن لاجيها
ولا شنكى العطلايا طفون رهانها
ولا لازجها طرداً بلديها
لدت إلى انساناً في خلال بكى
وعزتني أنا غضُّ العزن يعزها

ثم نراه ينتقل في حسن تخلص إلى المدح . يقول :
لقدت في جنح ليلٍ وشى وافقة
ودعن في حضرة جلتْ باديها
لو أنها علمت في قرب ن تصيب
من الورى للذات أعطلاها عيها
من مثلها حين رئته عليهما فران
طعن الدُّنى وفُرْ مُشَلْ باديها

ثم يخاطب المدح مباشرة :
اك القراءة فيها والقرى جمعاً
قالت قارئها سكاً وقاريهما

ومن هنا نرى أن الأرجاني جعل من وصف الشمعة مقديمة لقصيدة المدح حتى وإن لطلب وأطلال . ولعلنا نستطيع أن نقول إن الأرجاني أضاف مقديمة جديدة لمقدمات الشعر في العصر العباسى هي " المقديمة الشعية " وفي هذا توظيف في جديد للشمعة .

فإذا نقلنا إلى الصور الفنية في شعر الشمعة لوجدنا أن الشعراء أجادوا وأبدعوا في رسم صورة الشمعة باعتبار الشمعة مشهداً ، ومن الأمثلة على ذلك في الغربية والحسن ، قول ابن خالل في تشبيه الشمعة :

وصحرحة يضلاء تطلع في الدهن

صيحاً وتشفي الساظرين بدلها

شابت ذوالهما لأن شباهها

واسوسوا مفرهها لأن فنائهما

كالعنق في طبقاتها ودموعها

وسوانحها وبياضها وحنينها

لو قول المترى الرقاد وهو يشبه استقامتها بعنق الظلّم وهو بغير منقار أو كالخلة التي يغير سقفه ، يقول :

وشمعة في يد السلام حكت

عنق ظالم يغير منقار

تيكي إذا ذار شوقيها اضططررت

يدفع تسر من الأسى جاري

كأنها نخلة بلا سقف

تحمل أثراً من النار

^١ - حلقة الأدب : جـ ٢ / ٣٨٩ .

^٢ - ديوان المترى الرقاد ، من ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

أو قول المأموني الذي يشبه شعلتها وهي تهتز في ماء البرك بالبدر
الحار بين النجوم في السماء . يقول^١ :

وشمعة وسط أمن البرك
تبس في الماء ميس مرتك
كأنها البدر في السماء سرى
فحار في أوجه الفلك

أو قول أبو عبد الله المنقش وهو يشبه اهتزاز ضوء الشمعة بالبرد
تضرب مهizza من الخوف فجاتت نطلب الأمان ، يقول^٢ :

كان الشموع وقد لطعت
من النار في كل رأس مستاننا
أنامل أعداك الخائفين
تضرب نطلب منه الأمان

ولكن أقل في الشعر استخدام الشمعة كشبته به ، أي يستخدم الشمعة
في رسم صور لأنبياء لغزى . لأن الطغرائي يصف جفوة علامه مع
إحسانه إليه بالشمع والنار ، فلتسمع بعنى النار والنار تنله يقول^٣ :

^١ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : جـ ١ / ٤٩٤ .

^٢ - خاتم المؤمن للهدايني ، من ٢٠٠ .

^٣ - ديوان الطغرائي ، من ٢٥٧ .

من مُتصفٍ من ظلومٍ صار في يده
حُكْمُ فَلَكِرْ حَقِّيْ وَهُوَ يَعْرِفُهُ
وَكَيْفَ يَرْجُو لَاحِظًا في حُكْمِتِهِ
مِنَ الْمَرْأَةِ فِي يَدِيْ مِنْ لَيْسَ يَتَصَبَّهُ
يُسْبِّيْ بِيْ عِنْدِ اِحْسَانِي إِلَيْهِ فَلَا
شُكُوكَيْ نَجِيْ وَلَا بَلَوَكَ تُخْفِهُ
إِلَيْ وَيْلَةِ فَسِّيْ تَسْرِيْ وَجْهِتِهِ
كَالشَّمْعِ وَالنَّارِ يُجْرِيْهَا وَتَنْفِهُ
كَمَا شَيْهَ أَسْلَمَةَ بْنَ مَنْفَهَ الْكَرِيمَ بِالشَّمْعَةِ فِي عَطَالِهَا وَاحْتَرَقَهَا أَيْضًا :

يَقُولُ^١ :

النَّظَرُ إِلَى حَسْنِ صَبَرِ الشَّمْعِ يَظْهِرُ النَّرِ
رَائِينَ نُورًا وَفِيهِ النَّارُ تَسْتَعِرُ
كَذَا لِكَرِيمِ تَرَاهُ مُسَاحَكًا جَنَّدًا
وَقَلْبَهُ بِدُخْلِ الْفَمِ مُنْفَطَرٌ
وَرِبِّيْا يَعُودُ قَلَةً إِسْتِدَامُ الشَّمْعَةِ كَمُشِيهِ بِهِ إِلَى قَلَةٍ مِنْ يَدِيهِ الشَّمْعَةِ فِي
الْوَاقِعِ .
وَقَدْ يُسْتَخدِمُ الشَّمْعُ فِي بَعْضِ التَّعْبِيرَاتِ الْمُأْثِرَةِ وَمِنْهُ أَصْبَعُهُ
الْعَشْرَةُ شَعْنَا ، وَهَذَا التَّعْبِيرُ يُسْتَخدِمُهُ الْعَامَّةُ بِكَثِيرٍ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الشِّعْرِ
أَيْضًا ، قَالَ شَاعِرٌ فِي صَدِيقِهِ يَقُولُ لَهُ شَمْسٌ^٢ :

^١ مُعْجمُ الْأَدِيَاءِ : جِزْءٌ ٢ ، صِ ١٠٦ .

^٢ - خَرَاجَةُ الْأَكْبَرِ لِلْحَمْوَى ، جِزْءٌ ٢ ، صِ ٧١ ، وَضَمَانُجُ : أَيْ لَا يَظْهِرُ لَونَهُ .

يا شمس أشعلت شماعاً
عليك عشر الأصانع
رغماً لمن قال قلبي
الشمع في الشمس هشائع

وبالتسبة للمحسنات البدعية نجد أن شعر الشماعة يطلب عليه الطلاق
والمقبلة ، وربما كان سبب ذلك أن النسمة في الأرض تقوم على الثنائيات
المتناقضة : كالنور ، والظلم ، والصحة والمرض ، والبقاء والفداء ، لـ
الحياة والموت .

ومن لائحة الطلاق في شعر الشماعة :
عزراوية بالذهب ما مكتسي
فأعجب لها كاسوة عاربة
تألوك ليلاً كما يلت المريب فلن
لاح الصباح طواها دونك الحضر
وهيفاء من نسماء الطروك
ترؤس في الفقص من قدرها
إذا أضحك جنح داجى الظلام
يكت فجرى الدمع من نحرها
فلا تجيوا من ضمحها وابتسامها
فقد تندع الأجهان من كثرة الضحك
ألا ساعدتني طول ليلاً إنسا
ستنفي إذا جاء الصباح جيمعاً

تحيي الليل نوراً وهي تقليها
 بس الجرارة تخسر الله تخربها
 تكبد الليل ثقبيه ويأكلها
 والليل يضحك لا يكفي وتحترق
 غرثان يأخذ روحه من جسمه
فحياته مرهوتة بتلاته
 ومُزروع ميرتى سرور لقلاته
 لولا اتصال قلاته ببقائه
 تجز لاملاجها رأيها
فقلادها عند املاجها
 لاح لسا في مغرب
 فرداً في مشرب

ومن أمثلة المقابلة :

لسواطع طول اللھار مرتقبه
كمعذب بصاحبه ومساته
 فيسرني ليليا بحسن قوله
ويسوئني صاحباً بقبح حفاته
 وبصراً زلة ليل ولكنها
حضربرته عند بساصحها

وهكذا نجد أن اعتماد شعر الشمعة على الطابق وال مقابلة بالذات أساسه التقافن الشديد في حياة الشمعة ، والمبني على الثنائيات المتناقضة كما أشرنا

ومن الملاحظ أيضاً على شعر الشمعة غلبة الأساليب الخبرية على الأساليب الإنسانية . فالشعراء استخدمو الأسلوب الخبرية بكثرة ملتفة وربما كان تفسير ذلك أن الشاعر في شعر الشمعة لم يقصد أن يخاطب بشعره متلقياً خارجياً فيتوجه إليه بالطلب أو الأمر وخلافه إنما شعر الشمعة عده كان يدور في دورة داخلية تبدأ منه وتنتهي إليه ، حتى عندما استخدم الشعراء الأساليب الخبرية اعتمدوا على النوع الأول منها ؛ الخبرية الإبدالية التي لا تحتاج إلى أي مزوك على الإطلاق ، لأنهم لراهنوا أن يقتروا عن أنفسهم فلابد لهم من يسمع .

والشعراء عند استخدامهم للأسلوب الخبرية يزاوجون بين استخدام الجمل الاسمية والجمل الفعلية ، فالجمل الاسمية تؤدي بأصل وضعاً ثبوتاً شيء ليس غير ^١ ، ومن أمثلتها قول المغربي :

ومساعد ليس في الكاء ممساها
بالليل بروسي بطيء لفائه

هامي المصامي ، أو يصاب بعينه
حامي الأصالع أو يموت بدائه

أما الخبرية الفعلية فموضعها أصلاً لإفادة الحدوث في زمن معين ، أو تؤدي الاستمرار التمددى ^١ . فمن أمثلتها قول المغربي أيضاً :

^١ - علم المعانى : د. عبد العزيز عريق ، ص ٥٠ ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٤

تشبهت بـ مطول الليل ناحية
سفراء ، لفني فواها النعيم والأرق
تكابر الليل تغيبه وياكلها
ولاليل يضحك إذا نبكي وتحترق

أو قول البيهقي :

ثمين من شمس الأصيل غالباً
فأشعرن في الظماء بالطبع الصفر
تبكي على احشائنا بجسمها
فالمعلمها أجسامها أبداً تجري

أما عن استخدام الأساليب الإنشائية تجد أن الشعراء استخدموها بقلة
أدلة تتصل بذلك لهم أيضاً . ومن أمثلة استخدامها استخدام النبي للآيات
كما في قول عمرى :

فلا تمحبو من ضحكها وابتسامها
فقد تدمع الأنفان من كثرة الضحك

والنداء لاستغاثة كقول ابن ما كولا :
ألا سعاديني مطول ليلك إنما
سلفي إذا جاء الصباح جميماً

والاستهانة للتغى كقول الطبراني :
أقواداع مطول النهار مرقة
كمعذب بصياغه ومساته

١ - نفسه ، من ٥٠

وقوله :

أمعنْبُ وَالنَّارُ فِي عَذَابِهِ
كَمَعْنَبُ وَالنَّارُ فِي أَحْشَانِهِ

• • •

لما بالنسبة للأوزان في شعر الشعفة نجد أن الشعراء استخدمو معظم
البحور الشعرية إلا القليل منها ، كما استخدمو الأوزان الثامة والمحزوة .
فمن استخدامهم لبحر الطويل :

أَوْلُ وَمَا تَى مَسْدَغٍ غَيْرَ شَمْعَةَ
عَلَى طَوْلِ لَيْلٍ مَا تَرِيدُ نَزْوَعَهَا
وَصَفَرَاءَ مُثْلِي فِي هَوَاهَا جَلِيدَهُ
مُثْلِي مَجَاهِدَهُ كَمَثْلَ جَهَادِهِ

ومن أمثلة البسيط :

وَلَا طَلَيلٌ مُسْوِي هِفَاءَ مَخْطَفَةَ
تَهَدِي الرَّكَابَ وَجْنَحُ اللَّيْلِ يَعْتَكِرُ
شَبَّيَتْ بِسِي طَوْلُ اللَّيْلِ نَاطِلَةَ
صَفَرَاءَ أَفْنِي قَوَاهَا الدَّمْعُ وَالْأَرْقُ

ومن أمثلة الكامل :

وَمُرْرُوحٌ سَرِي سَرُورُ لَقَالِهِ
لَسْوَلَ اِنْصَالَ قَالِهِ بِقَالِهِ
وَنَدِيمَةَ لَى فِي الظَّلَامِ وَحِيدَهُ
مُثْلِي مَجَاهِدَهُ كَمَثْلَ جَهَادِهِ

ومن أمثلة المقارب :

بشعاع أعتبر لستود الرسماح
وسيرج نراها وألوانها
ومجدولة مثل مصدر القناة
تتمرّك وباطنها مكتسى

ومن أمثلة الواقف :

وصفا من بنات النحل تكسى
بوافنهما وأظفريهما عوارى

ومن السريع :

ويأخذ قيتم ليس شمعة
وحاله أحقر من حالها
ما شبيح يعجب من رأه
صفرته تغير عن ضئاله

ومن المسرح :

وشمعة في يد الفلام حكت
علق ظليم بغير مقارب
بركة صفر عمدها شمع
تبين ذاراً من موضع الشاه

لما الأوزان المجزوءة فمن مجزوء الكامل :

سفر الجسم ~~كامل~~
صيفت من الذهب المذاب
وإذا عرته ~~ـ~~ مرض ~~ـ~~
فقلواها ضرب الرقاب

ومن مجزوء الرجل :

وابكريات قصر الأسلار
بلامع سفر لها جوار
مجدولاته ~~ـ~~ فـ ~~ـ~~ تـ
تحكى لـ تـ أـ قـ دـ أـ سـ

ومن مجزوء الخفيف :

لـمـ أـ جـدـ شـيـداـ كـثـيـءـ
يـعـمـلـ الـيـلـ نـهـارـاـ
فـتـأـلـمـ مـنـ قـرـيبـ
شـجـراـ يـحـمـلـ نـسـارـاـ

وهكذا نجد الشعراء استخدمو جميع الأوزان الشعرية باستثناء بعض الأوزان والتي ربما عدم الحصول على التواجد هو السبب في عدم الإرisan بها، كما وجدنا الشعراء استخدمو الأوزان ثانية وجزءة ، كما استخدمو الأوزان ذات التفعيلين مثل الطويل والبسيط ، والأوزان ذات التفعيلة الواحدة مثل الكامل والواشر والمتقارب .

أما بالنسبة للقوافي فلجد الشعراء قد استخدموها جميع أنواع القوافي
ما عدا القافية المتكلمية والتي عادة ما تحدث اضطراباً في القافية نظرأً لكثرتها
الأحرف المترددة بين ساكنها .

ومن أمثلة استخدام القافية المتراقة :

ما شبح يحجب من رأي
مسقره تخسر عن ضيافة
يدكى بخفن غالب كرامة
لمعه تزيد فى قواه

ومن التواقي المتراقة :

برىكة مثغر عمودها شمع
تفيض ناراً فى موضع الماء
أقول ومالى مسد غير شمعة
على طول اللي ما تزيد تزوعا

ومن التواقي المداركة :

لقد شبهتني شمعة فى صباباتى
وفى طول ما أنتى وما أتوقع
ومجدولة مثل صدر اللقمة
تعسرت وباطنها مكتسى

ومن التوازي المتراكبة :

و شمعة و سط أيمن البرك
تعمى في الماء ميس مُركب
فَوْلَمْ عَصَنْ كَانَهُ لَذَّةٌ
تهدى لِسَانَ رِضابها لِهَا

أَمَا بِالنَّسِيَّةِ لِعِبُوبِ الْقَافِيَّةِ فَسَعْتُمُ الْمَقْطُوعَاتِ الشَّعُورِيَّةِ خَلَتْ مِنْ
الْعِبُوبِ إِلَّا فِي النَّقْلِ .

حيث وقع سبط التمازويدى في عيب الإعراب في قوله :

و باخْلَ قَدْمَ لَى شَمْعَةٍ
و حَالَهُ أَخْرَقَ مِنْ حَالِهَا
فَمَا جَرَتْ مِنْ عِنْدِهَا دَمْعَةٌ
إِلَّا وَمَنْ عِنْدَهُ لَمْلَأَهَا

حيث ضم حركة المجرى في البيت الثاني وكان حفظها للكسر كما وقع
كشاجم ليضاً في عيب الإعراب في قوله :

و صَفَرَ مِنْ بَنَاتِ النَّحْلِ نَفْسِي
بِوَاطِنَهَا وَلَبِرَهَا عَوْارِي
عَذَّارِي يَقْضَضُنَّ مِنْ الْأَعْمَالِ
إِذَا افْتَضَتْ مِنْ الْمُسْقُلِ الْعَذَّارِي

حيث فتح حركة المجرى في البيت الثاني وحفظها للكسر .

أما عن الموسيقى الداخلية لم يقل الشعراء بتوفيرها ولكن وجدت بعض الأمثلة البسيطة عليها . حيث استخدم الأرجاني التصريح قسٍ مطلع قصيدة التي أثرنا إليها . يقول :

نَتَّتْ بِأَسْرَارِ لَوْلَ كَانْ يَخْفِيْهَا
وَلَطَّعَتْ قَبْهَا لِلْأَسْنَ مِنْ فِيهَا
فِيمَ الْمُعْرُوفُ أَنْ عَرْوَضَ الْبَسِيْطَ الْأَنْمَ مُخْبَرَةً عَلَى الدَّوْلَمْ . لَكِنْ لَأْنَ
الْبَيْتُ دَخَلَهُ التَّصْرِيفُ لَتَّلَقَّتْ تَعْلِيَةُ الْعَرْوَضِ إِلَى مَا عَلَيْهِ تَعْلِيَةُ الضَّرِبِ
فَدَخَلَهَا الْقَطْعُ مِنَ الْخَنْ أَيْضًا .

كما استخدم بعض الشعراء التصريح غير المقصى في قوله :

وَشَمَّعَةُ نَتَّتْ إِلَيْهَا
تَجْمَعُ لِوَسَافِ كَلْ صَنْبَ
صَفَرَةُ لِسُونْ ، وَذَوْبُ جَسْمٍ
وَفَرِيشُ تَمَعْ ، وَحَمَرُ قَبْ

حيث يتضح تساوى الجمل في البيت الثاني .

ومن أمثلة التصريح المقصى :

صَفَرَ غَلَالَهَا ، حَمَرُ عَالَمَهَا
سَوْدَ ذَوَاهَا ، بَيْضَ لَوَاهَا

حيث يتضح تساوى الجمل مع لفاظها في القولين .

وفي النهاية نصل إلى المعجم الشعري لشعر الشمعة حيث تجد
الشعراء خصوصاً مجموعة من التعبيرات لكل سمة من سمات الشمعة ،
ظلوانها تعبيرات ، وشكلاها الخارجي تعبيرات ولقاؤها واستقامتها تعبيرات ،
وعندما تشتعل الشمعة فيبدأ رحلة المرض وأعراضه ، ثم الياء الذي
يتسلط في صورة شمع منصهر ، ثم قم الرأس الذي يودي حتماً إلى النهاية ،
والشعراء عندما يتذمرون عن مراحل حياة الشمعة يتحدثون أيضاً عن
إضاعتها التي فيها الجدوى من حيانها بمجموعة من التعبيرات .
ولأن الشمعة لها فوائد متعددة لكثبت منزلة لدى الخاصة بالذات ،
ومن هنا جاءت بعض التعبيرات التي تدور حول منزلة الشمعة .
ونحن بدورنا منحاول أن تجمل هذه التعبيرات التي تحصل الصالحة
ميالرا بالشمعة :

١- اللون :

حيث نجت معظم الشعراء الشمعة باللون الأصفر وذلك باستخدام اللون
نفسه ، أو باستخدام بعض الأشياء التي تحمل اللون وتحظى بعض الإيحاءات
المصاحبة .
” واللون الأصفر مرتبطة بالتحفظ والتبيه للنشاط وأهم خصائصه
المعنى والإشعاع والإثارة والاشراح .. والأصفر المخضر من أكثر الألوان

كراهية وهو يربط بالمرض والسم والجبن والقدر والخيانة^١ ، " وكثيراً ما يرتبط بالضعف والتباول^٢ .

ومن هنا وجدنا الشعراء يعبرون عن لون الشمعة بمستويين ، مستوى جمالي إيجابي قوامه الإشراق والاشتراح ومستوى سلبي قوامه الحزن والكآبة.

فالمستوى الأول الذي يثير النشاط والتفتح ، عبروا عنه بما يلي :

أ - الذهب :

فعبروا عن الشمعة بأنها : غصن من الذهب ، قضبان ذهب ، أحصان ذهب ، قلادة ذهب ، رمح لجين ستانه ذهب ، صود من التبر مقوسة قى ذهب ، جمارة من ذهب ، توابل ذهب .

ب - باقة صفراء .

ج - شمن الأصيل : ثبس من شمن الأصيل غالان .

د - الخلع الصفر : تفرق في الظماء بالخلع الصفر .

أما المستوى الثاني الذي يبعث إلى الحزن والألم ، فعبروا عنه بما

يليه :

أ - لون العريض : فعبروا عنها بأنها : صفراء أفنى قواها النعم والأرق ، وعن صود الشمع + صفترته تخير عن ضئاه ، وعن الشمع ، صفر الجموم .

^١ - اللغة واللون : د. أحمد متذر عمر ، من ٢٢٩ .

^٢ - اللغة واللون ، من ٢١٤ .

بـ- شكل العاشقين : فعبروا عن عمود الشمع بــهـ : " يحاكي رواهـ العـاشـقـينـ بلـونـهـ " .

وقد غلبت تعبيرات المستوى الأول على وصف الشمعة في الفصل الأول ، وغابت تعبيرات المستوى الثاني على علاقة الشمعة بالشاعر في الفصل الثاني .

٢ـ الشكل :

حيث تكتسب الشمعة سمة خاصة بها حيث إنها ناعمة ملمساً من الخارج ، بلطف شعها حول نسج من خيط رفيع من الداخل ، ولهذا عبروا عن عربها وكسالها في آن واحد .

فعبروا عن العري بـ " عارية ، قضبان تبر عربت من السورـ عـربـانـ الإـهـابـ " .

وعن كمالها قالوا : " باطنـهاـ مكـتسـىـ ، وـعـنـ عـمـودـ الشـمعـ كـمـىـ الـبـاطـنـ منهـ " .

المهم أن الشمعة عارية كامنة في آن واحد .

٣ـ قد الشمعة :

ولأن الشمعة مستقيمة معدّلة القوام ، رشقة عبروا عنها بــالتـبـيـرـاتـ الآـتـيـةـ : هـفـاءـ ، مـخـطـفـةـ ، مـخـطـوـفةـ الـحـصـرـ ، مـجـدـولـةـ فيـ قـدـهاـ ، مـجـدـولـةـ مـلـ صـدرـ القـنـاةـ ، مـقـنـوـلةـ مـجـدـولـةـ ، مـمـشـوـقةـ فيـ قـدـهاـ ، تـحـكـيـ قدـ الأـسـلـ ، قـوـامـ غـصـنـ كـائـنـ الـفـلـ ، تـبـدـيـ لـنـاـ كـالـفـصـنـ ، تـحـكـيـ التـضـيـبـ قـوـامـهـ ، قـاتـنـ الـفـلـ ، قـدـ لـجـينـ ، كـالـخـلـ بـلاـ سـفـ .

كل هذه التعبيرات تدل على رشاقة الشمعة واعتدال قوامها . وكلها
تعبيرات قد تستخدم في التعبير عن جمال الأشياء ثم استعارها للشعراء للشمعة.

٤- مرض الشمعة :

حيث نعت الشمعة بالكثير من النعوت التي تصور حالها وما تعلقها
من أعراض تدعو حتما إلى نهايتها ومن هذه النعوت :
(سمية ، كالعاشق المدنس ، تكاد الليل ، معدن الليل إلى ضحاه ،
تشهيب نار الشوق في حشاد ، فيها النار تستعر ، ليهيا بار ، جديدة ، ناحضة ،
تحترق ، وحيدة ، مفردة ، الشهاد ، المجاهدة ، تغير اللون ، المهر ، ألمى
قواما النعم والأرق ، البوس ، الشقاء ، في بلاه وعذاب ، حرقة قلب .

كل هذه النعوت تعبّر عن أعراض مادية ومتقدمة وما هي إلا نعوت
لأعراض مرضية يعاني منها الشعراء أنفسهم ، ثم أسلقوها على الشمعة
سيرتهم وأليساتهم .

٥- دموع الشمعة :

ويقصد به الشمع المنصهر الذي يعطي الحياة للشمعة ، حيث عبر عنه
الشعراء بالدموع لـ البكاء .
فوصفوه بالدموع فقالوا : أدمعوا طوال ليالها سكب ، أدمعه تزيد في
قواء ، يقلل منها ألمع صفر ، جرى الدموع من نحرها ، تحرز النعم ، دموعه
صرف ، فيوض دمع ، أدمعها أجسامها أبدا تجري ، فلم أر حمرا ذاتيا غير
دمعها .

وعبروا عن الصهار الشمع بالبكاء فقالوا : باكية ، تبكي ، يبكي يجفان
غائب كراء ، باكية على الدجى ، تبكي على أحشائهما بجسمهما .

فالباء والنموج معنوان إسلاميتان خلجهما الشعراه على الشمع أيضاً .

٦- قط الرأس :

نجد أن الشعراء استخدمو بعض التعبيرات القوية والمفزعية في قط رأس النسمة وكأنها مخلوق متوجه ، أو شئ يقتضي منه على ذبيه ، فمن التعبيرات التي استعملها الشعراء :

أ - قص الشعر : فقد قيل : " يقطّلها الفص من شعرها " وهذا التعبير هو أخف التعبيرات .

ب - قطع الرأس : قيلوا : " وإن قطعوا الرأس لم تمرض ، تحييا إذا ما رأسها قطعت ، وإن قطعت من الرأس لم تتعس " .

ج - ضرب العنق : قيلوا : " شفاوها إن مرضت ضرب العنق ، لها من ضرب الرقاب شفاء ، سواها بضرب أعناقها ، إذا عرّتها مرضية فشقاوها ضرب الرقاب " .

د - جز الرأس : قيلوا : " تجز لإصلاحها رأسها " .

وقد يأخذنا العجب من استخدام هذه التعبيرات القطعية مع شعمة من المفترض أن تشم بالرقة والجمال بضربي بها مثل في التضحية . فبدلاً من استخدام عبارات الرفق في كل ما يتصل بها . نجد الشعراء استخدمو معها ما يستخدم مع المجرمين المازفين الخارجين على القانون ، ولكن قد ينزل العجب إذا عرّفنا أن قطع الرأس أو ضرب العنق كانت اللغة لساندة والبساطة في تخلص الساسة من خصومهم ، إليها لغة العصر ، لغة القتل والمصادر . فقد روى مسكونية كيف قتل أبو الحسن ابن الفرات وزير المقadir ، وإيه

المحسن . فقد أن أمر المقتدر بضرب أخلاقهما * صلار نازاروك - القائد العسكري للمقتدر - إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس في الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلًا فيها ووجهه (يعجب) خاصه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسن . وصار برأسه إلى أبيه فوضعه بين رديه فارتفاع لذلك ارتياحًا شديدًا ، وغيرهن هو على السيف ، فقال للزاروك : يا آبا منصور ليس إلا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين في أمرى ... فقال له نازاروك : قد جلَّ الأمر عن هذا ، ولبر به فضيحت عنة وحمل رأسه ورأس ابنه إلى المقتدر يأله فأمر بتفريغهما ففرِّقا في الفرات .^١

هذه نهاية وزير ابنه ، ضرب العنق ! ولكن هل سلم المقتدر من نفس المصير . يحكى مسكونيه في أحداث سنة ٣٢٠هـ . " وروى في غير من أصحاب مؤنس فأخططا بالمقتدر بضربه رجل منهم من خلقه ضرورة سقط منها إلى الأرض . وقال : وبحكم أنا الخليفة . فقال البريري : إياك أطلب ، وأضجعه فنجه بالسيف ، وكان معه رجل من خلاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضًا ، ورفع رأس المقتدر على سيف ، ثم على خشبة ، وسباب ثيابه حتى سراويله ، وترك مكتوف العورة إلى أن من به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حظر له في الموضع وذان حتى عاً ذرء .^٢

هذا مصرير خليفة تقطع رأس ويكتشف عورته . ولكن هل قلت قاتلاته من القصاص ؟ لقد لقوا نفس المصير وينفس الطريقة . يحكى مسكونيه في أحداث سنة ٣٢١هـ " ودخل الفاجر إلى الموضع الذي كان فيه (مؤنس) و(باتق) وأبناء معتقلين ، فذبح على ابن يلقي بحضرته وجه برأسه إلى أبيه ،

^١ - تحارب الأمم لمسكونية : جـ ١ ، ص ١٣٨ .

^٢ - تحارب الأمم لمسكونية : جـ ١ ، ص ٢٣٧ .

فَلَمَّا رَأَهُ جَرْعٌ وَبَكَى بِكَاهٍ عَظِيمًا ، ثُمَّ ذَبَحَ بِلْقَ وَوَجَهَ بِرَأْسِهِ وَرَأْسِ لِدِهِ إِلَى مَوْسِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا لَنْ قَاتِلَهَا فَلَمَرْ بِهِ فَجَرَ بِرِجْلِهِ إِلَى الْبَلَارُوعَةِ ، وَذَبَحَ كَمَا تَذَبَحَ الشَّاهُ وَالْقَاهِرُ بِرَاهِ ، وَأَخْرَجَتِ الرَّوْسُونَ الْمَلَكَةَ فِي تَلَاثَ طَلَاسَاتِ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى شَاهَدَهَا النَّاسُ ، وَطَبَقَ بِرَأْسِهِ عَلَى بَنِ بَلْقَ فِي جَانِبِي بَغْدَادِ ثُمَّ رَدَّ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، وَجَعَلَ مَعَ سَلَارِ الرَّوْسُونِ فِي خَزَانَةِ الرَّوْسُونِ عَلَى الرِّسْمِ^١ .

لَيَدُ هَذَا يَأْخُذُنَا الْعَجْبُ وَيَمْتَعِنُ أَنَّ الشَّعَرَاءَ اسْتَخْدِمُوا مَعَ الشَّمْعَةِ عَبَارَاتٍ مَفْزَعَةً مِثْلِهِ : قَطَعَ الرَّأْسَ وَجَرَّهَا وَضَرَبَ الْعَنْقَ ، يَأْخُذُنَا الْعَجْبُ مِنْ حَصْرِ شَهْرِي دَارِ السُّلْطَانِ فِيهِ عَلَى جَزَائِهِ الرَّوْسُونِ . جَزَائِهِ لِلرَّوْسُونِ فِي دُولَةِ إِسْلَامِيَّةٍ !! بَلْ وَتَعْرِضُنَّ هَذِهِ الرَّوْسُونَ لِلْمُبَثِّ . يَحْكَى مَسْكُوْيَهُ : " حَتَّى سَلَامَةُ الْمَطَلُونَيِّ الْحَاجِبِ إِلَيْهِ لَمَّا أَخْرَجَ إِلَيْهِ رَأْسَ مَوْسِ ، لِيَصْلَحَهُ فَرَغَ الدَّمَاغُ مِنْهُ وَوَزَنَهُ فَكَانَ سَيْنَةً لِرِطَالٍ ... "^٢ .

إِنَّهُ عَصْرُ كُلِّ الرَّوْسُونِ فِيهِ كَانَتْ مَعْرِضَةً لِلقطْعِ وَكُلِّ الْأَعْنَاقِ مَعْرِضَةً لِلصُّرُبِ حَتَّى الشَّعَرَاءُ لِنَفْسِهِمْ لَمْ يَكُونُوا أَنْتَنَ عَلَى رَوْسِهِمْ . فَشَاءَ طَبِيعَيِّنَ أَنْ تَكْرَدَ هَذِهِ التَّعْبِيرَاتِ فِي شَعَرِهِمْ . وَيَشَفَّى أَنْ تَهُونَ عَلَى نَفْسِنَا فَهَذِهِ كَانَتْ تَقْلِيَّةُ الْعَصْرِ .

٢- نَهَايَةُ الشَّمْعَةِ :

عَنِ الشَّعَرَاءِ عَنِ النَّهَايَةِ الْمَأْسَوِيَّةِ لِلشَّمْعَةِ بَعْدَ تَعْبِيرَاتِهِ ، وَهِيَ تَعْبِيرَاتٍ فِي مَعْنَامِهَا تَلَى عَلَى الْمَعَادَةِ الَّتِي تَعْيَشُهَا الشَّمْعَةُ مِنْ أَحَلِّ أَنْ تَوَدِّي

١ - تَجَارِبُ الْأَمْ ، جِهَـٰ ١ ، صِـٰنْ ٢٦٨ .
٢ - نَفْسِهِ ، جِهَـٰ ١ ، صِـٰنْ ٢٦٨ .

دورها . ومن هذه التعبيرات " النار فيها كالأجل ، حياته مرهونة بفلاته ، أرواحها تأكل أجسادها ، تأخذ روحه من جسمه ، تقى ، يقتصر الأعصار ، النار فيها تُسْعَر ، فيها النار تشتعل ، النار في عذابه ، نار في المفرق " . وكلها تعبيرات تفيد أن الشمعة تقدم نفسها قرباناً حتى تخسيء الآخرين .

- نور الشمعة :

غير التعراء عن إضاءة الشمعة وتورها في الليل بتصور مختلفة ومعظمهما صور مجازية ، مثل :

- نكيد الظلام ، أي ت TORه .
- النجوم المصونة : ق قالوا : " هي بالليل أنجم مصار ، هي بالليل أنجم زهر ، شارها مثل مصابيح الأفق ."
- الضنك والإنسان : ق قالوا : " أضحكت جنح داجي الظلام ، تركك إبساماً، ضمحكها وإبسامها ، الليل يضحك ."
- الدهار أو الضحى : ق قالوا : " أعاد جنح الليل وهو ضحاء ، عاد ظلام الليل كالنهار ، تحاكي المسياح بمصابيحها ."
- الياسن : ق قالوا : " نثني الذئب عن لونه فيعود مبيضاً للحجب ."
- القمر المنور : يشق جلاليب الذئب فكانما بين لينينا عمود من الفجر .
- بصيرة ليل .
- ليلة اليدر : ق قالوا : " فوقه شماع كأنه ليلة اليدر ."
- الشهاب : ق قالوا : " عاينت سهماً يضيء ."

وهكذا وجدنا الشعراء قد عبروا عن نور الشمعة وإضاعتها بتعابيرات مختلفة وكلها تعابيرات مجازية كما أشرنا .

منزلة الشمعة :

فنظرا لما تؤديه الشمعة من دور الإضاءة وتجميل المكان الذي توضع فيه احتلت مكانة لدى الخاصة بالذات . ولهذا وجدنا الشعراء يعبرون عن هذه المنزلة التي تحظى الشمعة . فقالوا : " من نداء الملوك ، هباء من نداء الملك ، نديمة في ظلام " . كما عبروا عن طهارتها وأصالتها فقالوا : " سلالة النحل ، من بنات النحل " .

وبهذا تكون قد انتهينا من دراسة المعجم التسعري للشمعة ، حيث أرزننا جميع المجالات التي دار عليها شعر الشمعة والتعابيرات الخاصة بكل مجال . وبنهاية المعجم الشعري ليضأ تكون قد انتهينا من سرد بعض الملاحظات الفنية في شعر الشمعة . والتي بها ينتهي هذا البحث .

والله رب العالمين

خاتمة البحث



خاتمة البحث

وفي النهاية نحاول أن نجمل ما جاء بين صفحات البحث .

ففي التمهيد تناول البحث المعنى اللغوي للشمعة ، وإنتاج الشمعة ولتواعده ، واستخداماته ، وموقف الأدب من الشمعة .

وفي الفصل الأول دار البحث حول وصف الشمعة فوجدنا للشعراء تحدثوا عن قوام الشمعة واعتذاله وتحدثوا عن لونها وعن دموعها ولهابتها .

ثم تحدثوا عن فوائد الشمعة حيث استخدمت كوسيلة للإضاءة ، وهدية قيمة تقدم في المناسبات كما استخدمت للزينة في البرك والطسوات ، كما ، كما كانت تعين على السهر ليلاً في الأديرة للشراب .

كما استخدمت الشمعة كمصدر لشعر الأذكار نظراً لما تحمله من دلالات تجسد في النفوس مثلاً حيًّا للتضاحية .

والفصل الثاني دار حول الشمعة في وجдан الشعراء ، حيث رصد بعض الإسهامات النفسية لعدد من الشعراء على الشمعة قتناولنا من الشعراء : المنزري الرقاقي ، وبين الأشخاص ، وبين الأشخاص ، وبين الأشخاص ، وأبو العلاء المعري ، وبين ماكولا ، والقازوفي ، والطغرائي ، وأسامي بن منقذ .

وحيه وجدنا الشعراء لم يكتفوا بوصف الشمعة وتأملها فقط بل جعلوا منها كائنًا حيًّا ، يحس بهم فيبتئنها أحزانهم ويخلعون عليها مشاعرهم .

ودار الفصل الثالث حول : شعر الشمعة نظرات فنية ، وفيه لسوحظ
عليه المقطوعات الشعرية على شعر الشمعة ، إذ لا يوجد في شعر الشمعة إلا
قصيدة الأرمني التي جعل مقدمتها في وصف الشمعة تصل إلى أربعة
واربعين بيتاً ، وفيه وجد كثرة الصور التي تستخدم الشمعة كمشبه وكلمة
الصور التي تستخدم الشمعة كمشبه به .

كذلك وجدنا الشمعة تستخدم في بعض التعبيرات ، كما لاحظنا عليه
الطباق والمقابلة من المصطلحات الديعية على شعر الشمعة ، وعلينا ذلك بأن
فلسفة الشمعة قائمة على الثنائيات المتضادة مثل الطباق والمقابلة .

وكذلك لاحظنا عليه الأساليب الخزنة على الإنشارية ، وعلينا بأن
الشاعر ما زاد أن يخاطب طرفاً خارجياً على الأغلب .
كما لاحظنا أن شعر الشمعة جاء على معظم أوزان الشعر وقوافيه
وضررنا الأمثلة على ذلك .

ثم ختم الفصل بمجمع لشعر الشمعة ، حيث لستخدم للشعراء عبارات
خاصة لكل سمة لو حالة من سمات الشمعة وحالاتها . فوصلتنا العبارات التي
دللت على : اللون والشكل ، والقد ، والمرتضى ، ودموع الشمعة ، وقط الائـن
ونور الشمعة ، ومنزلة الشمعة .

وهكذا انتهى البحث الذي أسأل الله أن ينفع به ويسوفني إلى الحق
والصواب دائمـاً .

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

- ١- الأخلاقي والكافر الأبيبي .
عبد الحفي كمال - مطبوعات نادي الطائف الأبيبي - الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ
- ٢- أثياء الرواه .
للنظري - ت. محمد أبو الفتح إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٨١ م .
- ٣- تجربة الأمم :
لأبي أحمد بن محمد المعروف بمسنوكه ، دار الكتاب الإسلامي -
القاهرة .
- ٤- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري .
لأحمد متز - ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة -
١٩٤٠ م .
- ٥- خزانة الأدب وغالية الأدب .
نتني الدين أبي بكر على المعرفة بين حجة الحموي - شرح عصام .
شعيتو - دار مكتبة الهلال - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٩١ م .
- ٦- ذمۃ القسر وعصرة أهل العصر :
لأبو الحسن الباقری . ت - د . مسامي مکی العائی ، دار العروبة -
الكويت - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- ٧- ديوان الأرجاني :
ناصح الدين أحمد بن محمد - تقديم وشرح ، فنري ماير ، دار الجليل -
بيروت - الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ٨- ديوان أسامة بن منقذ .
- ٩- ديوان سبط التماعيدي .
- ١٠- ديوان سبط التماعيدي .
- ١١- ديوان العثويري .
- ١٢- ديوان الطفراوى .
- ١٣- ديوان كشالم .
- ١٤- ديوان شعبان ، مكتبة الخاتم - الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- ١٤ - ديوان الميكالي .
 عبد الله بن أحمد بن على الميكالي - تحقيق : جليل العطية - عالم الكتب
 - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١٥ - ديوان تولواء المصطفى .
 أبو الفرج محمد بن أحمد الخساني المشهور بالولاء - تحقيق د. سامي
 الدهان - دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ م .
- ١٦ - رسوم دار الخلابة .
 لأبي الحسن الهلال الصابري - تحقيق ميخائيل عواد - دار الراشد العربي
 - بيروت .
- ١٧ - زهر الأدب .
 لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري الفيرواني - تحقيق د. ركسي
 مبارك - دار الجبل - بيروت - الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ م .
- ١٨ - شعراء من العصر العباسي الثاني .
 الدكتور عبد الله أحمد باقازى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٩ - شعر البيهقي .
 دراسة وتحقيق د. سعود محمد عبد الجابر - مؤسسة الشرق للعلاقات
 العلمية - عمان الأردن - الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- ٢٠ - شعر المكتوفين في العصر العباسي .
 د. عدنان عبد العلي - دار لسانمة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن -
 ١٩٩٩ م .
- ٢١ - علم المعانى .
 د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٤ م .

- ٢٢ - العدة في صناعة الشعر ونقده .
 لأبي الحسن بن رشيق القبرواني - تحقيق د. مفيد محمد فهمة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٢٣ - عيون الأفكار .
 لأنون قافية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٤ - اللغة واللون .
 د. أحمد مختار عمر - عالم الكتاب - الطبعة الثانية ، ١٩٩٧ م .
- ٢٥ - معاهد التصفيص على شواهد التلخيس .
 للشيخ عبد الرحمن بن أحمد العباسى - تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد - عالم الكتاب - بيروت - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٢٦ - معجم الآباء أو إرشاد الأربى في معرفة الأنبياء .
 لأبي عبد الله بالقوت بن عبد الله الرومي الجموي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ٢٧ - منهاج البلقاء ومراج الأباء .
 لأبي الحسن حازم القرطاجنى - تحقيق محمد السببى بن الخوجة - دار الغرب الإسلامى - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٦ م .
- ٢٨ - الموسوعة العربية العالمية .
 مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢٩ - نزهة الأيلصار في محسن الأشعار .
 شهاب الدين أبي الحسن العذابى - تحقيق : السيد مصطفى السنوى وعبد اللطيف أحمد لطف الله - دار القلم - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

- ٣٠- تشارل المحاضرة ولغير المذكرة .
 للقاضي أبي على المحسن بن على التوخي - تحقيق عبد الشالجي -
 دار صادر - بيروت - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٣١- نكت الهميان في نكت العيون .
 لصلاح الدين الصدقي - المطبعة الجمالية في مصر .
- ٣٢- الوزراء أو تحفة الأمراء .
 لأبي الحسن البلاط الصابري - تحقيق عبد السلام فراج - عيسى الباسري
 الحلبي - ١٩٥٨م .
- ٣٣- وفيات الأعوان .
 لأن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر ، بيروت .
- ٣٤- ينمية الذهب في محسن أهل العصر .
 لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي - دار الكتب
 العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧-٥	المقدمة
١٩-٩	التمهيد
٥١-٢١	الفصل الأول : وصف الشمعة
٩٨-٥٣	الفصل الثاني : الشمعة في وجdan للشراة
١٢٠-٩٩	الفصل الثالث : شعر الشمعة ، نظرات فنية
١٣٤-١٣١	خاتمة البحث
١٤١-١٣٥	المصادر والمراجع

